**الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية**

**وزارة التعليم العالي والبحث العلمي**

**جامعة 8 ماي 1945 قالمة**

**كلية العلوم الانسانية والاجتماعية**

**قسم : التـــــاريخ**

**عنوان المذكرة**

# الطرق الصوفية في العصر المملوكي دورها وتأثيرها على الحياة الاجتماعية

مذكرة مقدمة لنيل شهـــادة الماستر في تاريخ وحضارة المشرق الاسلامي

**من إعداد :**

**عبداوي كريم**

**حيمود وحيد**

**تحت إشراف :**

- د/ يوسف أحلام

**لجنة المناقشة**

| الأستاذ (ة) | الدرجة العلمية | الصفة | الجامعة |
|---|---|---|---|
| أ د/ كمال بن مارس | أستاذ التعليم العالي | رئيسا | جامعة 8 ماي 1945 |
| د/ أحلام يوسف | أستاذ محاضر أ | مشرفا ومقررا | جامعة 8 ماي 1945 |
| أ د/ أولاد ضياف رابح | أستاذ التعليم العالي | عضوا مناقشا | جامعة 8 ماي 1945 |

**السنة الجامعية :**

**1445 –1446هـ/2024– 2025م**

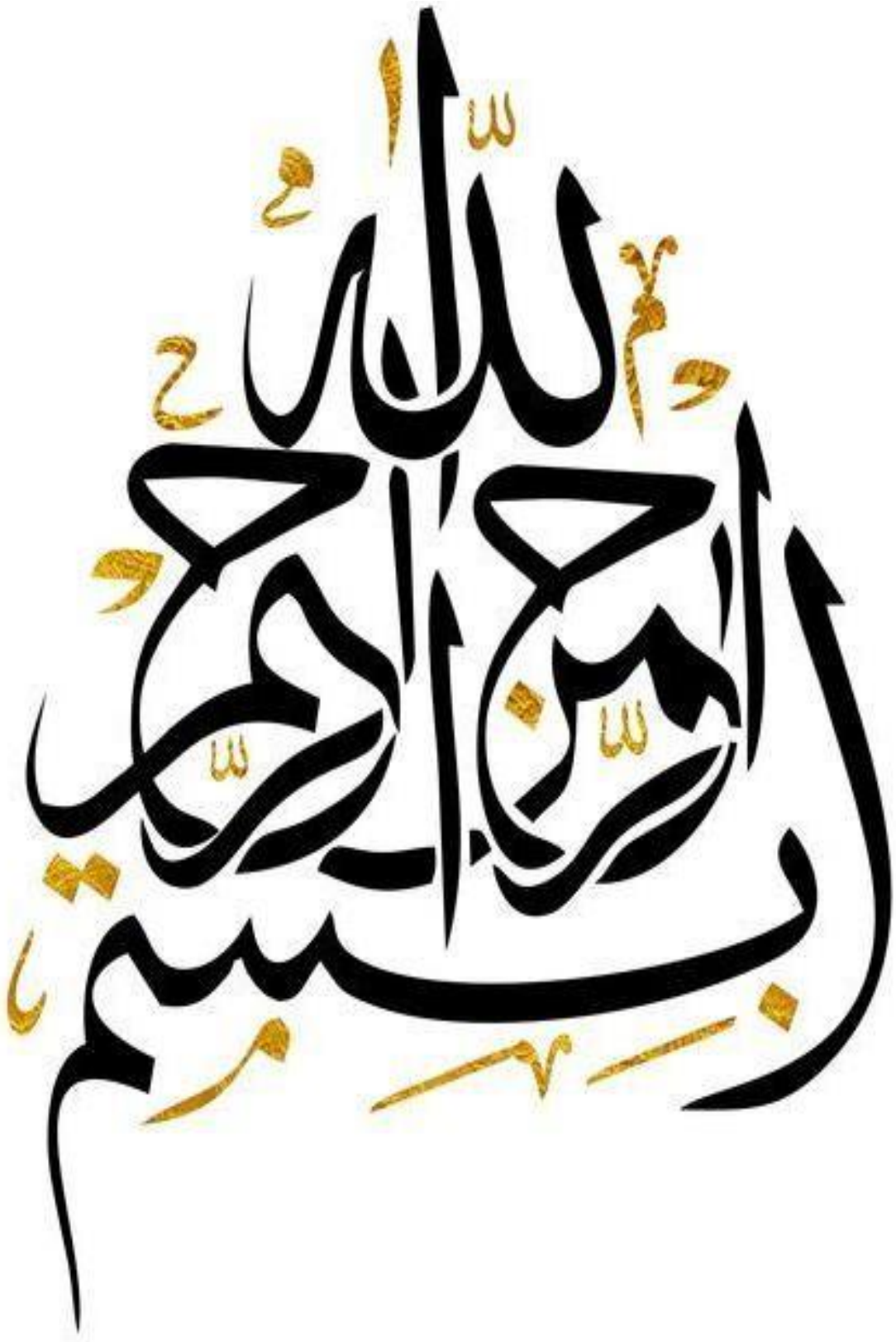
بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهداء

الحمد الله عزوجل الذي كان لي خيرعون لإنهاء هذا العمل

## أهدي عملي هذا :

إلى روح أبي/ والدي رحمة الله عليه .

إلى والدتي الغالية أطال الله في عمرها .

إلى إخوتي .... أبناء إخوتي اللهم اصلح حالهم وأحفظهم ووفقهم لما تحب

وترضى وأنبتهم نباتا حسنا .

إلى كل الأصدقاء والأحباب .

كريـــم

# الإهداء

إهداء إلى من غمروني بحبهم ودعمهم اللامحدود...
إلى من كانت دعواتهم سرّ نجاحي...
إلى والدتي الغالية، نبع الحنان، ورفيقة الدرب في كل خطوة
إلى من شجعني ودعمني خلال مشوار دراستي أبي العزيز
إلى أخي وأخواتي، سندي ومصدر قوتي...
إلى أصدقائي الذين كانوا لي عونًا وسندا طيلة فترة الدراسة.

إلى كل من آمن بي، وكان سببًا في استمراري وتقدّمي...
إلى كل طالب علم، إلى من تقع هذه المذكرة بين يديه لهؤلاء جميعا اهدي هذا العمل المتواضع

وحيد

# الشكر والعرفان

بداية نشكر المولى عز وجل ونحمده على توفيقه لنا في إنجاز
هذا العمل المتواضع.

كما نتوجه بشكرنا وتقديرنا الى اساتذة قسم التاريخ بجامعة قالمة
وشكر خاص للأستاذة "د/ أحلام يوسف " المشرفة على مذكرتنا
التي لم تبخل علينا بتوجيهاتها القيمة التي أنارت لنا طريق البحث
وساعدتنا على اتمامه ، ونشكرها على تواضعها وسعة صدرها،
ونسأل الله لها دوام الصحة و العافية، ونتمنى لها
المزيد من التألق والنجاح في المجال العلمي.

كما نتقدم بالشكر الى لجنة المناقشة
"د. بن مارس كمال " و "د. اولاد ضياف رابح "
الذين سننال شرف مناقشتهم وتقييمهم لهذا العمل وتصويبه .

كما نتقدم بالشكر إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل
من قريب أو بعيد.

وفي الختام نرجو أن تعم الفائدة من خلال هذه الدراسة
وان اصبنا فمن الله وان أخطأنا فمن أنفسنا .

| فهرس الموضوعات | الصفحة |
|---|---|
| **إهداء** | |
| **شكر وتقدير** | |
| **فهرس الموضوعات** | |
| **مقدمة** | أ- ز |
| **الفصل الأول: لمحة تاريخية موجزة عن الطرق الصوفية** | **09- 32** |
| المبحث الأول: مفهوم الطرق الصوفية | **10** |
| المبحث الثاني: مراحل تطور التصوف | **19** |
| المبحث الثالث: نشأة التصوف والطرق الصوفية | **30** |
| **الفصل الثاني: نماذج عن الطرق الصوفية في العصر المملوكي** | **34- 50** |
| المبحث الأول: الطريقة الشاذلية والدسوقية | **35** |
| المبحث الثاني: الطريقة القادرية والرفاعية | **38** |
| المبحث الثالث: الطريقة البدوية أو الأحمدية | **46** |
| **الفصل الثالث: أدور الطرق الصوفية في العصر المملوكي** | **52- 76** |
| المبحث الأول: دور الطرق الصوفية | **53** |
| المبحث الثاني: أهمية الطرق الصوفية | **67** |
| المبحث الثالث: الانعكاسات المتباينة للطرق الصوفية | **71** |
| **خاتمة** | **78** |

| | |
|---|---|
| قائمة المصادر والمراجع | 83-89 |
| ملخص الدراسة | |

# مقدمة

يُعد التصوف أحد أبرز الظواهر الدينية والاجتماعية التي عرفها التاريخ الإسلامي، حيث نشأ في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي كتيار روحي قائم على الزهد والعبادة، واستهدف ترقية النفس والسمو بها من خلال مجاهدات فردية، قبل أن يتحول إلى مذهب منظم له قواعده وطرقه وشيوخه. وقد ساهمت التحولات السياسية والثقافية التي عرفها العالم الإسلامي في القرون الهجرية الأولى في تبلور الفكر الصوفي وانتشاره، وتأسيس مؤسساته التي عُرفت لاحقًا بالزوايا والطرق الصوفية.

ومثلما امتد التصوف في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، فقد شهدت الدولة المملوكية، خاصة في مصر وبلاد الشام، ازدهارًا ملحوظًا للطرق الصوفية التي لعبت أدوارًا دينية وثقافية، وأيضًا اجتماعية لا تقل أهمية، إذ ساهمت في تهذيب السلوك، ونشر قيم التعايش، وتقديم الخدمات الاجتماعية للناس، مما جعلها تحظى باحترام وتقدير جميع طبقات المجتمع، من السلاطين إلى العامة، وعليه جاءت دراستنا الموسومة ب " **الطرق الصوفية في العصر المملوكي: دورها وتأثيرها على الحياة الاجتماعية** "

**1. أهمية الموضوع:**

تبرز أهمية هذا البحث في كونه يتناول جانبًا مهما تناولته الدراسات التاريخية كثيرا ، وهو الدور الاجتماعي للطرق الصوفية خلال العهد المملوكي، وهو دور امتد ليشمل التربية والتعليم، والتكافل الاجتماعي، والتوسط في النزاعات، فضلًا عن التأثير الرمزي والروحي الذي مارسته الطرق على المجتمعات.

**2 . أسباب اختيار الموضوع:**

أ. أسباب ذاتية:

. الرغبة في فهم أعمق لطبيعة التصوف خلال العهد المملوكي.

. الاهتمام بالدراسات التي تجمع بين البُعدين الديني والاجتماعي.

. المساهمة في فتح آفاق بحثية جديدة حول الطرق الصوفية.

**ب . أسباب موضوعية:**

. الحاجة الأكاديمية لتسليط الضوء على التصوف بوصفه ظاهرة مجتمعية متكاملة في العصر المملوكي.

. إبراز الأثر العميق للطرق الصوفية في تنظيم الحياة اليومية ومواجهة التحديات الاجتماعية.

**3 . إشكالية الدراسة:**

انطلاقًا من هذا الطرح، تتمحور إشكالية الدراسة حول السؤال الآتي:

إلى أي مدى ساهمت الطرق الصوفية في التأثير على الحياة الاجتماعية في العصر المملوكي؟

وتتفرع عنها الأسئلة الفرعية التالية:

ما المقصود بالتصوف لغة واصطلاحًا؟

كيف نشأت وتطورت الطرق الصوفية في الدولة المملوكية؟

ما أبرز الطرق الصوفية الفاعلة في تلك المرحلة؟

كيف انعكس وجودها على الحياة الاجتماعية في مصر وبلاد الشام؟

**4 . منهجية الدراسة:**

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، وذلك لتتبع نشأة الطرق الصوفية وتطورها ورصد مظاهر نشاطها الاجتماعي، اعتمادًا على مجموعة من المصادر التاريخية الأصيلة، إلى جانب الدراسات الحديثة والرسائل الجامعية ذات الصلة.

**5 . حدود الدراسة:**

أ. **موضوعيًا:** دراسة الطرق الصوفية في العصر المملوكي من حيث نشأتها، وتنوعها، وأدوارها الاجتماعية.

**ب . زمانيًا:** تمتد الدراسة من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي إلى القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي.

**ج . مكانيًا:** تشمل مصر وبلاد الشام باعتبارهما من أهم مراكز الطرق الصوفية في الدولة المملوكية.

**6 . الدراسات السابقة:**

تناولت هذه الدراسة مجموعة من الكتب والأبحاث السابقة والمعاصرة التي ركّزت على موضوع التصوف من زوايا ومحاور متعددة. ويمكن تصنيف هذه الدراسات وتنظيمها بما يخدم موضوع البحث، بهدف إبراز أهم ما ورد فيها والاستفادة منها في معالجة الإشكالية المطروحة. ومن أبرز هذه الدراسات :

**أ . بعض المصادر وكتب المتصوفة:**

– **الرسالة القشيرية** لأبي القاسم القشيري(القشيري،1284هـ) والتي تحدث فيها عن الذين أظهروا عداء للصوفّية ، ووجه رسالته إلى أهل الّتصوف ليبين لهم الحقيقة، وكشف البدع وما خرج عن الصوفّية، كما اشار القشيري إلى أن الصوفّية هم صفوة أولياء الله .

وقد جاءت الرسالة على فصول متعددة تحدثت عن موضوعات متنوعة عن التصوف لقت اهتمام كبير للباحثين والمؤلفين تمثلت في العديد من الشروحات التي دارت حولها

- **كتاب"اّللمع"**، لأبي نصر الطوسي (الطوسي، 379هـ) الذي تحّدث فيه عن أخبار أهل اّلتصوف بطريقة تاريخّية، وقد قسم الطوسي كتابه إلى أبواب فهناك باب التوحيد، وباب اّلتصّوف، وقد ذكر الطوسي أن كتابه جاء في الوقت الذي اختلطت فيه الأمور على الناس، وظهرت فئات استغلت اّلتصوف وطعنت فيه، أخرجته عن الشريعة السلمية.

-**إبن الجوزي**،(ابن الجوزي،597هـ) " **المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم**:"

تحدث في كتابه المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم عن ترجمة لأكابر الفقهاء و الصوفية ولقد استعنت به في الفصل الأول باعتباره مصدر قييم زود الدراسة معلومات أكثر

**ب- كتب حديثة ومعاصرة عن اّلتصوف:**

- كتاب "**في اّلتصوف الاسلامي وتاريخه**" والذي نقله إلى العربية أبو العلا العفيفي(العفيفي،1946م) وجمع فيه اّلدراسات التي قام بها المستشرق نيكولسون، وأكد العفيفي في كتابه أن هناك العديد من اّلدراسات التي نشرت حول اّلتصوف من أوائل القرن التاسع عشر حتى يومنا هذا، وهناك دراسات، لمُ تنشر بعد، وتحتاج إلى الدراسة، كما أشار الى الأفكار الخارجة عن اّلتصوف، وتحدث عن الأراء التي تكلمت عن هذه المؤلفات وكانت ما بين مؤيدة ومعارضة للّتصوف، واتهمته بالبعد عيين روح الاسلام .

- كتاب **اّلتصوف السلمي** لجان فليي (فليي، 1999م) الذي تحدث فيه عن مراحل تطور اّلتصوف من وجهة نظر المتصوفة واعتمدنا عليه في الفصل الأول .

**ج . رسائل علمية:**

- رسالة ماستر لعمرون ريان وسعداوي سارة، "دور **الحركة الصوفية في الحياة الاجتماعية في المشرق الإسلامي خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي**"، والتي تناولت التصوف في سياق المشرق الإسلامي، مع تركيز خاص على أبعاده الاجتماعية.

- رسالة ماستر لدوارة هاجر،" التصوف **في الدولة العباسية خلال القرن 2-3هـ/8-9 م** " والتي تحدثت فيها عن نشأة ومبادئ التصوف وأهم المدارس الصوفية واثار التصوف في الدولة العباسية.

ومع ذلك، فإن دراستنا توسعت في محاور لم تتطرق إليها هذه الدراسات، خصوصًا ما يتعلق بمصر وبلاد الشام خلال العهد المملوكي.

**7/خطة الدراسة:**

ومحاولة منا الإلمام بمختلف جوانب الموضوع جاءت هذه الدراسة في مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة:

الفصل الاول : كان بعنوان :" **لمحة تاريخية موجزة عن الطرق الصوفية** "، وتضمن ثلاثة: مباحث، تناولنا في المبحث الأول مفهوم الطرق الصوفية ، والمبحث الثاني فقد خصصناه

لمراحل تطور التصوف ، أما المبحث الثالث تناولنا فيه نشأة التصوف والطرق الصوفية

أما الفصل الثاني : الذي كان تحت عنوان : " **ظهور وانتشار الطرق الصوفية في العصر المملوكي** " وضمّ ثلاثة مباحث: تطرّقنا في المبحث الأول إلى الطريقة الدوسقية

والشاذلية ، المبحث الثاني تحدثنا فيه عن الطريقة القادرية والرفاعية، أما المبحث الثالث فكان عن الطريقة البدوية أو الاحمدية

وكان الفصل الثالث والأخير بعنوان : **أدوار الطرق الصوفية في العصر المملوكي** واحتوى هذا الاخير على ثلاث مباحث الاول كان فيه ذكر لدور الطرق الصوفية في الفترة المدروسة ،والمبحث الثاني تحدث عن أهمية الطرق الصوفية على المجتمع أما المبحث الثالث فقد عالجنا فيه الانعكاسات المتباينة للطرق الصوفية .

ثم ختمنا بحثنا بمجموعة من النتائج التي توصلنا إليها خلال دراسة هدا الموضوع بالإضافة الى مجموعة من الملاحق والفهرس وقائمة المصادر والمراجع المعتمد عليها.

**8 . صعوبات الدراسة:**

من بين الصعوبات التي واجهتنا أثناء البحث:

ـ ندرة الدراسات المفصلة حول الجانب الاجتماعي للطرق الصوفية في العصر المملوكي.

ـ تشتت المادة التاريخية بين المصادر، مما تطلب جهدًا مضاعفًا في التحليل والربط.

ـ محدودية بعض المراجع في مكتبات الجامعة، وصعوبة الوصول إلى بعض الوثائق.

**9/ عرض المصادر والمراجع المعتمدة :**

اعتمدنا في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع المهمة، التي أفادتنا كثيرًا نظرًا لأهميتها وارتباطها الوثيق بموضوع البحث. ومن أبرز هذه المصادر والمراجع نذكر ما يلي:

. **المقريزي وكتابه "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار"**، ويُعد من أهم المؤلفات التاريخية والجغرافية التي تناولت مصر من الجانب الإسلامي، حيث وثّق معالمها

العمرانية والدينية، وسجّل أحوالها في العصور الإسلامية، لاسيما خلال العصر المملوكي.

. **عامر النجار وكتابه "الطرق الصوفية في مصر: نشأتها، نظمها، روادها"**، وقد استعرض فيه المؤلف نشأة الطرق الصوفية في مصر منذ العصور الوسطى، ونظمها التنظيمية، وأهم أعلامها كـ: الرفاعي، الجيلاني، البدوي، الشاذلي، والدسوقي.

. **عبد الوهاب الشعراني وكتابه "الطبقات الكبرى"**، ويُعد من أهم كتب التراجم الصوفية في التراث الإسلامي، إذ وثّق فيه المؤلف سير ومقامات كبار شيوخ التصوف، مع إبراز مناهجهم الروحية وتأثيرهم في المجتمع.

. **أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني وكتابه "ابن عطاء الله السكندري وتصوفه"**، ويُعد مرجعًا مهمًا لكل باحث في الفكر الصوفي السني، حيث تناول شخصية ابن عطاء الله السكندري وأبرز أبعاد تجربته الصوفية داخل التيار الشاذلي.

## الفصل الأول: لمحة تاريخية موجزة عن الطرق الصوفية

المبحث الأول: مفهوم الطرق الصوفية

المبحث الثاني: مراحل تطور التصوف

المبحث الثالث: نشأة التصوف والطرق الصوفية

تُعدّ الطرق الصوفية أحد المظاهر البارزة في التاريخ الروحي الإسلامي، إذ نشأت من رحم التصوف كاتجاه يسعى إلى تزكية النفس والتقرب من الله عبر الزهد والعبادة. وعليه، تتناول هذه الدراسة ثلاثة مباحث رئيسية: يُعنى المبحث الأول بتحديد مفهوم الطرق الصوفية من حيث خصائصها وأهدافها، بينما يستعرض المبحث الثاني مراحل تطور التصوف منذ نشأته الفردية الزاهدة حتى تحوله إلى طرق منظمة، أما المبحث الثالث فيتناول نشأة التصوف والطرق الصوفية، موضحاً العوامل التي أسهمت في ظهورها وانتشارها في العالم الإسلامي.

## المبحث الأول: مفهوم الطرق الصوفية:

يُعد التصوف جانبًا روحيًا عميقًا في الإسلام، نشأ استجابة لحاجة الإنسان إلى التزكية والسمو الأخلاقي، وقد تطوّر هذا الاتجاه ليشكّل ما يُعرف بالطرق الصوفية، وهي تنظيمات روحية تقوم على اتباع شيخٍ معين وسلوك منهج خاص في العبادة والتربية. وعليه، يتناول المبحث الأول مفهوم التصوف والطرق الصوفية، حيث يُوضح أولاً ماهية التصوف من حيث معناه اللغوي والاصطلاحي، ثم يُقدّم تعريفًا شاملاً للطرق الصوفية من خلال بيان معنى "الطرق" و"الصوفية"، وصولاً إلى فهم ماهية هذه الطرق وخصائصها ضمن السياق الديني والتاريخي.

### 1-تعريف التصوف:

يُعدّ التصوف من المصطلحات التي حظيت باهتمام واسع في التراث الإسلامي، نظراً لما يحمله من أبعاد روحية وسلوكية عميقة، وقد تنوعت أقوال العلماء في تعريفه بحسب الزاوية التي نظروا منها إليه مما استدعى التمييز بين معناه اللغوي والاصطلاحي. ولفهم التصوف لابد أولاً من الوقوف على معناه في اللغة، ثم استعراض دلالاته الاصطلاحية كما وردت في كتب الصوفية وعلماء السلوك تمهيداً لفهم هذا الاتجاه الديني الذي أثر في الحياة الإسلامية فكرياً وروحياً عبر القرون.

أ- **التصوف لغة:** تعددت تعريفات التصوف عند العلماء والمصطلحين به، وذلك لاختلاف زوايا النظر إليه وتنوع تجاربه ومراحله عبر العصور، ويُرجع بعضهم أصل كلمة "تصوف" إلى اشتقاقها من "الصوف"[1] دلالةً على الزهد والتقشف، وهو ما تميز به أوائل المتصوفة في مظهرهم وسلوكهم، لا سيما في العصور الأولى، حيث ارتبط التصوف بالزهد

[1]-عبد الله بن جدّين السهلي، *الطرق الصوفية: نشأتها وعقائدهاو آثارها*، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، 2005، ص 09.

والانقطاع عن ملذات الدنيا طلباً للقرب من الله تعالى.[1] وعليه، فقد نظر بعضهم إلى الصوفية نظرة سلبية، باعتبارها انحرافاً عن الدين في بعض مراحلها، نتيجة لمفاهيم غامضة أو ممارسات دخيلة. وفي هذا السياق، يستشهد الصوفية بآيات قرآنية لتبرير منهجهم، منها قوله تعالى[2]: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ مشيرين إلى أن "الصوف" مذكور في القرآن، وهو ما يُعطي دلالة رمزية لطريقهم في الزهد واللباس والتجرد من زخارف الحياة.

علاوة على ذلك، اختلفت الآراء حول أصل كلمة "تصوف" وتعددت اجتهادات العلماء والمفكرين في تفسير اشتقاقها، فبعضهم يرى أنها مأخوذة من كلمة "صوف"، إشارة إلى لبس الصوف الذي اشتهر به الزهاد وأهل التصوف في بداياتهم، دلالة على الزهد والتقشف. بينما ذهب آخرون إلى أنها مشتقة من الكلمة اليونانية "**The Sophy**" التي تعني الحكمة،[3] باعتبار أن التصوف يرتبط بالمعرفة والحكمة الروحية. وهناك من يرى أن أصلها من "الصفاء"، في إشارة إلى صفاء الباطن وتخليص النفس من الشهوات والأهواء.[4] كما يُرجعها بعض الباحثين إلى "الصف الأول"، أي أن المتصوفة كانوا في أوائل الصفوف في العبادة والطاعة بين يدي الله تعالى،[5] وهو ما يمنح الكلمة دلالة روحية ومكانة إيمانية متميزة.

---

[1]–بوزياني الدراجي، عبد الرحمن الأخضري *العالم الصوفي الذي تفوق في عصره*، دار اليونازي درجاي، ط2، البويرة، 2009، ص 24.

[2]- سورة النحل، آية: 80

[3]– عباس كحول، زوايا الزيبان العزوزية مرجعية علم وجهاد، دار علي بن زيد للطباعة، بسكرة، 2013، ص 44

[4]- عبده غالب أحمد عيسى، مفهم التصوف، دار الجبل، بيروت، 1992، ص 11.

[5]– أبو القاسم عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، مطبقة مصطفى البابي الجبلي وأولاده ط1، القاهرة، 1940، ص 138.

وبحسب *المعجم الوسيط*، فإن لفظ "الصوفي" يُنسب إلى "لبس الصوف"، وهو أبرز ما كان يميز المتصوفة من مظاهر الزهد والبساطة، ولهذا أطلق عليهم هذا الاسم.[1] أما *قاموس المحيط*، فيشير إلى أن كلمة "تصوف" مشتقة من الفعل "تصوّف"، بمعنى سلك طريقًا معينًا أو اتبع منهجًا خاصًا، وهو ما يدل على التزام المتصوفة بطريق روحي محدد في السلوك والعبادة.[2]

وفي نفس السياق، تعددت الآراء حول أصل تسمية "التصوف"، إذ يرى بعض العلماء أن الكلمة مشتقة من جذر يتصل بمعاني الصفاء والطهارة، مثل: الصفاء، الصافي، الصفوة، والتصفية، وهو ما يعكس طبيعة هذا العلم المرتبطة بنقاء النفس وتزكيتها.[3] ويُقال أيضاً إن التسمية تعود إلى "أهل الصُفّة"، وهم جماعة من فقراء المهاجرين الذين كانوا يلازمون المسجد النبوي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، متفرغين للعبادة والزهد، مثل أَبُو هُرَيْرَةَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ صَخْرٍ الدَّوْسِيُّ الزَّهْرَانِيُّ الأَزْدِيُّ (21 ق هـ – 59 هـ / 602 ) وبلال الحبشي، وكانوا يمثلون نموذجاً روحياً يُحتذى به.[4] وهناك من يرجع أصل الكلمة إلى "آل صوفة"، وهم قوم من العرب في الجاهلية عُرفوا بخدمة الكعبة والتفرغ لها، فشُبّه بهم المتصوفة في انقطاعهم للعبادة. كما يشير بعض الباحثين إلى أن الكلمة ربما اشتُقت من

---

[1]– إبراهيم أنس وآخرون، المعجم الوسيط، بيانات النشر ، ط2، القاهرة، 1972، ج1 ، ص 529.

[2]– شهاب الدين أبو عمرو، القاموس الوافي، مر: يوسف البقاعي، دار الفكر، ط1، بيروت، 2003، ص 708.

[3]– بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 24.

[4]– صحابي محدِّث وفقيه وحافظ أسلم سنة 7 هـ، ولزم النبي محمداً، وحفظ الحديث عنه، حتى أصبح أكثر الصحابة روايةً وحفظًا للحديث النبوي .لسعة حفظ أبي هريرة، التفّ حوله العديد من الصحابة والتابعين من طلبة الحديث النبوي الذين قدّر البخاري عددهم بأنهم جاوزوا الثمانمئة ممَّن رووا عن أبي هريرة .كما يعد أبو هريرة واحدًا من أعلام قُرّاء الحجاز، حيث تلقّى القرآن عن النبي محمد، وعرضه على أبي بن كعب،وأخذ عنه عبد الرحمن بن هرمز. تولى أبو هريرة ولاية البحرين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، كما تولى إمارة المدينة من سنة 40 هـ حتى سنة 41 هـ. وبعدها لزم المدينة المنورة يُعلّم الناس الحديث النبوي، ويُفتيهم في أمور دينهم، حتى وفاته سنة 59 هـ

اسم قبيلة "صوفة"، وهي أول من تولّى خدمة الكعبة في العصر الجاهلي، فاقترنت الكلمة بالزهد والارتباط بالمكان المقدس.[1]

وبحسب "معجم الوسيط"، يُطلق لقب "الصوفي" على من يتبع طريقة التصوف، وهو تابع وعارف بسبل التصوف.[2] أما "قاموس المحيط" فيُرجع أصل كلمة "الصوفي" إلى الفعل "تصفّى"، أي من سلك طريق التصفية والتهذيب، أو من اتبع طريقة محددة في السلوك الروحي، ومنه اشتُقت كلمة "التصوف".[3]

ونستنتج مما سبق، أن التصوف لغةً تعددت معانيه واشتقاقاته، فالبعض يرجعه إلى "الصوف" دلالةً على الزهد، وآخرون إلى "الصفاء" أو "الصفوة" للدلالة على نقاء الباطن، وهناك من يرى أصله في "أهل الصُفّة" أو "آل صوفة". وتعددت هذه الآراء لاختلاف التجارب الصوفية ومظاهرها عبر العصور.

ب- **التصوف اصطلاحا:** يُعد التصوف، في الاصطلاح، أحد أبرز المظاهر التي تجسد الحياة الروحية في الإسلام، وهو منهج سلوكي وأخلاقي يقوم على مبادئ وقواعد تهدف إلى تهذيب النفس وتذوق معاني الحياة الإيمانية.[4] إضافة إلى ذلك، يلتزم المتصوف من خلاله بطريق ديني يتضمن ضوابط سلوكية صارمة ويخضع فيه لتجربة روحية عميقة، وقد اختلف الباحثون والمتصوفة أنفسهم في تحديد مفهوم التصوف، فبعضهم يرى أنه يتمثل في أداء العبادات الشرعية من صلاة وصوم ومعرفة الله حق المعرفة، مقرونة بترك التعلق بالدنيا

[1] – احسان ألهى الظهير، التصوف المنشأ والمصدر، دار الترجمان السنة ، ط1، لاهور، باكستان، 1986، ص 25.

[2]–كمال بوغديري، الطرق الصوفية في الجزائر الطريقة التيجانية نموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، علم الاجتماع، جامعة سطيف، 2014–2015، ص 152.

[3]– عبد الرحمن ابن خلدون ، شفاء السائل وتهديب المسائل ، تح د/محمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر، لبنان، دون سنة نشر، ص 1996، ص 54

[4]– محمد الحربي، ابن تيمة وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1987، ص 17.

والابتعاد عن الذات المادية، والعيش في حالة دائمة من الاستعداد للآخرة.[1] كما يشمل التصوف عند كثير من شيوخه محاسبة النفس، والمجاهدة، والتخلق بالأخلاق الحسنة، والتفرغ للعبادة في سبيل الوصول إلى الصفاء القلبي والقرب من الله.

وفي هذا الصدد، فإن طريق التصوف يقوم على الزهد والعبادة، وهو طريق مشروع ما دام المتصوف يلتزم بالشريعة ولا يخرج عنها، فقال: "إذا سلك طريق الزهد والعبادة والتصوف موافقًا للعلم والشريعة، فهو على طريقٍ مستقيم، وإن خالفها كان ضالًا".[2] ويُفهم التصوف في حقيقته على أنه التزام بآداب السلوك مع الله، ظاهرًا وباطنًا، من خلال مراعاة الأعمال القلبية والظاهرية، والحرص على الإخلاص فيها.[3] كما يقوم التصوف على الجمع بين العلم والعمل والسعي، والارتباط بالكتاب والسنة من خلال المعرفة الحقيقية بالله، إلى جانب ترك حب النفس والهوى، والتجرد من التعلق بالدنيا، ابتغاءً لمعرفة الله ورفع الظلم وإحياء محبة الدين.[4]

أما ابن خلدون، فيرى أن التصوف هو الانقطاع لعبادة الله، والابتعاد عن زخارف الدنيا والانشغال بغير الله، من خلال الخلوة والابتعاد عن مخالطة الناس، طلبًا للتفرغ للعبادة.[5] وعليه، يسير المتصوف في طريق الزهد والتجرد من متاع الدنيا، ويمارس أساليب المجاهدة على النفس، حتى يصل إلى إضعاف الجسد في سبيل تقويتها على الطاعة، مثل السهر في الصلاة والتقليل من الطعام، بهدف إخضاع الجانب الجسدي للنفس وتحقيق كمال الأخلاق. فالتصوف، بحسب هذا المفهوم، ليس انفصالًا عن الدين، بل هو سعي لتحقيق

---

[1]– عبد الرحمن ابن خلدون، شفا السائل وتهذيب المسائب، تح: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، ط1، دمشق ، 1996، ص 52.، ص 54

[2]– العريفي ، محمد بن عبد الرحمن : موقف ابن تميمة من الصوفية ، مكتبة دارالمنهاج،الرياض ، 1429هـ، مج1 ص 45

[3]عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تح: علي عبد الواحد الوافي، دار النهضة، ط7، مصر، 2014، ج3، ص 989.

[4]–برهان رزيق، التصوف في تاريخ الفكر الاسلامي، د.ط، د.د.ن، سوريا، 2016، ص 45.

[5]– عباس كحول، المرجع السابق، ص 45.

الطهارة السلوكية من خلال الخلوة، والمجاهدة، والتخلي عن الرغبات، والتزين بالأخلاق الفاضلة.

وبالتالي، فالتصوف هو طريق سلوكي يقوم على تهذيب النفس وتطهيرها من الصفات السيئة، والتحلّي بالأخلاق الفاضلة، وهو يستند في جوهره إلى المجاهدة والتزكية والسمو الروحي.[1] ويُقال أيضا، إن من أصول السلوك الصوفي: حفظ الحواس، ومراقبة الأنفاس، وكبح الشهوات، وترك الاختيار، وهو أقصى درجات الانضباط السلوكي مع الله والخلق.[2] كما يُعدّ التصوف، في أحد أبعاده، فرعًا من علم الأخلاق، لأنه يحث على ترك الصفات المذمومة والتحلّي بالصفات المحمودة.[3] وقد عبّر علماء الصوفية عن هذا المعنى بوضوح، فقال محمد بن علي القاصب: "التصوف هو حسن الخلق، فمن زاد عليك في الخُلُق فقد زاد عليك في التصوف"، وقال الكتاني: "الكرم في الصفاء، لا في الزمان؛ فالمرء الكريم مع القوم الكرام، لا في زمان كرم"، إشارة إلى أن الكمال في التصوف يتحقق بصفاء النفس وعلو الأخلاق لا بزمان أو ظرف معين. [4]

أما علم التصوف يُعنى بتصفية القلب من الشهوات الدنيوية كحب المال والجاه والتعلق بالمدح والثناء، كما يعمل على تطهيره من أمراض النفس كالحسد، والعجب، والغرور، وسوء الظن بالناس، ليكون قلب الإنسان خالصًا لله.[5] ويهدف التصوف إلى إصلاح القلب، لأنه موضع نظر الله، ولا ينشغل القلب عن خالقه إلا إذا امتلأ بغيره من الرغبات والشواغل الدنيوية. فالتصوف في جوهره هو شعور إيماني عميق، وخشوع قلبي

[1]– ابراهيم أنس وآخرون، المرجع السابق، ص 529.

[2]–أبو القاسم عبد الكريم القشيري، المصدر السابق، ص 138.

[3]–عبد الله حسن زروق، قضايا التصوف الاسلامي، هيئة الأعمال الفكرية، ط2، الخرطوم، السودان، 2006، ص 25.

[4]– أبو القاسم عبد الكريم القشيري ، المصدر السابق، ص 139.

[5]–عبده غالب أحمد عيسى، المرجع السابق، ص 11.

دائم، وتغلب على النفس والهوى.[1] وقد أكد النبي ﷺ في الحديث الشريف أهمية القلب في صلاح الإنسان، فقال: "ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"،[2] مما يدل على أن التصوف يرتكز على إصلاح القلب كأساس لصلاح الإنسان كله.

وفي نفس السياق، نجد أن علم التصوف هو علم عملي مرتبط بجهاد النفس ومقاومة الشهوات، لا يقتصر على التأمل والنظر، بل يقوم على الممارسة والتجربة الروحية، ويعتمد على مجاهدة النفس بالأعمال والسلوك.[3] كما يُعد التصوف علمًا يتداخل مع التجربة الشخصية ووسائل التزكية، وقد نشأ في بيئة الزهاد والعبّاد والفقراء، وتابع طريقه الأولياء والصالحون وأهل الكرامات. وقد عبّر الإمام أحمد بن أبي الحواري عن جوهر التصوف بقوله: "التصوف مبني على ثلاث خصال: التمسك بالفقر، والافتقار في كل حال، والتحقق بالبذل والإيثار وترك الاختيار".[4] كما يرى المتصوفة أن الله يختبر عباده المحبين بالمصائب والآلام، لا ليعذبهم، بل ليطهر قلوبهم ويختبر صدق محبتهم، حتى يذوقوا حلاوة القرب منه، ويبلغوا كمال العبودية له بمحبة مطلقة وخالصة.[5]

وبالتالي، فالتصوف، في الاصطلاح، هو منهج سلوكي وأخلاقي يهدف إلى تهذيب النفس وتطهير القلب من الرذائل، وتحقيق القرب من الله من خلال الزهد والعبادة ومجاهدة النفس. إضافة إلى ذلك، يركّز على الإخلاص في الأعمال، ومراقبة القلب، والسمو

---

[1]–محمد الحربي، المرجع السابق، ص 117.

[2]– رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، 28/1 (52)، ص 28، وملسم في كتاب البيوع، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، 1219/3 (1519).

[3]– عبد الله حسن المرزوق، المرجع السابق، ص 25.

[4]– أبو القاسم عبد الكريم القشيري، المصدر السابق، ص 139.

[5]–أنا ماري شيمل، الأبعاد الصوفية في الاسلام وتاريخ التصوف، تر: محمد اسماعيل السيد رضا حامد قطب، منشورات الجمل، ط1، بغداد، 2006، ص 07.

الروحي، كما يجمع بين العلم والعمل. كما يُعدّ التصوف علمًا عمليًا وتجربة روحية تنبع من الزهد وتمتد إلى التزكية والسلوك الحسن.

## 2-تعريف الطرق الصوفية:

تُعدّ الطرق الصوفية من أبرز المظاهر التنظيمية في التصوف الإسلامي، وقد نشأت لتكون مسارًا روحانيًا يهتدي به السالكون إلى الله تعالى ضمن ضوابط ومناهج محددة. وعليه، لابد لنا من التطرق إلى مفهوم هذه الكلمة لغة واصطلاحا.

أ- **لغة: هي** جمع لكلمة "طريقة"، والتي تعني في "لسان العرب" السيرة أو المنهج الذي يسلكه الإنسان، كما تدل على مذهب الشخص وثباته على نهج معين، أي استمراره في السير على حالة واحدة.[1] ومن هذا المعنى جاءت كلمة "طريق" بمعنى السبيل أو المسار الذي يسلكه الفرد.

ب- **اصطلاحًا:** يُعرّف الصوفية الطرق على أنها منهج روحي يسلكه المريدون في سبيل الوصول إلى الله عز وجل، يتضمن اجتياز المنازل والترقي في المقامات. وتُفهم أيضًا على أنها مجموعة من القواعد والتنظيمات التي تضعها جماعات من المتصوفة لتنظيم سلوك أتباعهم وسيرهم الروحي.[2]

وبالتالي، فالطرق في التصوف تمثل مسارات روحية وسلوكية يسلكها المريدون للوصول إلى القرب من الله تعالى، وهي تقوم على أسس تربوية ومناهج روحية محددة بإشراف شيخ الطريقة، ويُقصد بها لغةً السيرة أو النهج الثابت، واصطلاحًا هي مجموعة من المبادئ والممارسات التي تنظم سلوك المتصوفة في ترقيهم بالمقامات الإيمانية. وعليه، تُعد هذه الطرق أداة لتزكية النفس وضبط السلوك في إطار جماعي منظم.

---

[1]-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط1 ، بيروت ،( د ت ) ، ج 10، ص 220-221.

[2]- عبد الله بن دجين السهلي، المرجع السابق، ص09.

3- **تعريف التصوف عند المتصوفة:** ذكر القشيري[1] في "رسالته" أكثر من خمسين تعريفًا للتصوف نقلها عن المتصوفة المتقدمين، كما أورد المستشرق نيكلسون ما يقارب سبعين إلى ثمانين تعريفًا للتصوف، وبيّن السراج في كتابه "اللمع" أن تعريفات التصوف تجاوزت المائة،[2] مما يدل على تنوع مفاهيمه وتعدد زوايا النظر إليه بين أتباعه والباحثين فيه.

وبالتالي، يصعب تحديد تعريف موحّد ودقيق للتصوف، إذ نجد أنه مجموعة من التعريفات المتنوعة التي تعكس اختلاف التجارب والرؤى، حتى قيل إن عددها قد بلغ ألف تعريف كما أشار السهروردي،[3] وذكر بعضهم أن التصوف يتبدّل بتبدّل العصور.[4]

ومن أشهر تعريفات مشايخ الصوفية: قال معروف الكرخي: "التصوف هو الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق". وفي هذا الصدد، سُئل ذو النون المصري عن التصوف فقال: "هو الذي لا يملكه طمع، ولا يقيده سمع"، وقال أيضًا: "الصوفية قوم آثرهم الله على كل شيء، فآثروا الله على كل شيء".[5] وقال أحدهم منسوبًا إلى "سيد الطائفة": "ما

---

[1] القشيري هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد النيسابوري القشيري، صوفي ومفسّر وأديب ناثر، وُلد في نيسابور في ربيع الأول سنة 376هـ، وتوفي بها في 16 ربيع الآخر سنة 465هـ. وقد عُرف بكونه من أبرز أعلام التصوف الإسلامي، وله مؤلفات عديدة، من أشهرها "الرسالة القشيرية"، التي تُعد من أمهات كتب التصوف. انظر: زكريا بن محمد الأنصاري (ت. 936هـ)، حاشية العلامة مصطفى العروسي المسماة نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، ط2، باكستان، 1986، ص36.

[2]. احسان بن ظهير، التصوف: المنشأ والمصادر، إدارة ترجمان ، ط1، باكستان، 1986م، ص36.

[3]- السهروردي: هو أبو الفتح شهاب الدين يحيى السهروردي، فيلسوف إشراقي وشافعي المذهب، وُلد في سهرورد شمال غرب إيران. درس العلوم الدينية والفلسفية، ثم ظهر بآرائه الفلسفية الصوفية التي جمعت بين الحكمة الإشراقية والفكر الصوفي. وقد اتُّهم بالزندقة بسبب بعض آرائه، فصدر أمر بإعدامه في حلب سنة 586هـ. انظر: زكريا بن محمد الأنصاري : حاشية العلامة مصطفى العروسي المسماة نتائج الافكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية، تح:عبد الوارث محمد علي ، دار الكتب العلمية، ط2،باكيستان،،192،1986.

[4]- سعيد عقيل سراج سعيد، صلة الله بالكون في التصوف الفلسفي دراسة ونقد، رسالة دكتوراه قسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدنيا، جامعة أم القرى، السعودية، 1414هـ، ج1،ص 19

[5]- احسان بن ظهير، المرجع السابق، ص 14، ص37

أخذنا التصوف عن القيل والقال، بل عن الجوع وترك الدنيا".[1] وسُئل أبو يزيد البسطامي: "بأي شيء وجدت هذه المعرفة؟"[2] فقال: "ببطنٍ جائع، وجسمٍ عارٍ".[3]

وقال الشبلي في وصفه للصوفي: "الصوفي في كل يوم عيد"، كما قال: "التصوف هو ضبط الحواس ومراعاة الأنفاس". وعرّفه أيضًا بأنه "من لا يرى في الدارين مع الله غيره"، أي لا يشغله شيء عن الله. وأضاف قائلًا: "هو المنقطع عن الخلق، المتصل بالحق"، وقال كذلك: "هو الذي لا يملك شيئًا ولا يملكه شيء". واختتم بقوله: "الصوفية كأطفال في حجر الحق"،[4] في إشارة إلى نقاء قلوبهم وتعلقهم التام بالله.

**المبحث الثاني: مراحل تطور التصوف:**

شهد التصوف الإسلامي تطورًا ملحوظًا عبر العصور، حيث مر بعدة مراحل تاريخية تعكس تحوّله من الزهد الفردي البسيط إلى بناء منظومة روحية وفكرية متكاملة. فقد نشأ أولًا في بيئة الزهد والورع في القرون الهجرية الأولى، ثم تطوّر ليأخذ طابعًا تنظيميًا مع ظهور الطرق الصوفية والمدارس الروحية، وصولًا إلى تشكّل تيارات فكرية ومذهبية صوفية لها رموزها ومصطلحاتها الخاصة. وعليه، تُعد دراسة هذه المراحل ضرورية لفهم أصول التصوف ومكانته في التاريخ الإسلامي.

---

[1]– عبد الحفيظ بن منصف عبد الحق المكي، موقف الأئمة من الحركة الصوفية في التصوف والصوفية، دار السلام، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1421هـ / 2001م، ص259.

[2]- المعرفة عند الصوفية تُعد الغاية النهائية من مسار التصوف، وهي المقام الذي يصل إليه السالك عند تحقق المشاهدة القلبية، حيث تُعد المشاهدة هي جوهر هذه المعرفة وحقيقتها. وقد عظّم المتصوفة من شأن المعرفة واعتبروها أرقى مراتب السير إلى الله، لا يصل إليها إلا من تزكى وتطهّر قلبه، وتحلى بصفات تفضّله عن غيره من الناس. انظر: عبد الرؤوف محمد عثمان، *المرجع السابق*، ص. 67.

[3]عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عبد الله القرشي، السماع عند الصوفية: عرض ونقد على ضوء أهل السنة والجماعة، جامعة أم القرى، السعودية، 1421هـ، ص 62-63.

[4]– محمد المراكبي، عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة – سلسلة الظاهر والباطن، ط3، (د.ت)، ج3، ص18

وعليه، يُعدّ التصوف فرعًا من الفروع الإسلامية الذي نشأ وتطوّر منذ بداياته في بلاد المشرق العربي. وعلى الرغم من التداخل التاريخي بين مراحله المختلفة، فإن كل مرحلة من مراحل تطوره تميّزت بسمات وخصائص زمنية وفكرية خاصة، مما يجعل من الصعب تقديم تعريف موحد للتصوف يشمل جميع هذه المراحل بدقّة.

### *1*-المرحلة الأولى:

تُعرف هذه المرحلة في تاريخ التصوف باسم "مرحلة الزهد"، وقد ظهرت في القرنين الأول والثاني الهجريين، ويُعتبر الزاهدون الأوائل – الذين وُصفوا فيما بعد بالمتصوفة[1] – هم النواة الأولى للحركة الصوفية، على الرغم من أن أغلبهم لم يُطلق عليهم في زمانهم اسم "صوفيين"، بل أُطلق عليهم تسميات أخرى مثل: النساك، والعبّاد، والبكّاؤون، لما عُرف عنهم من انصراف عن الدنيا، وخوف من عذاب الآخرة، واعتكاف في الكهوف والجبال، وابتعاد عن صخب الحياة، طلبًا للخلاص الروحي.[2]

وقد كان للدافع الديني دور كبير في ظهور الزهد، حيث مثّلت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على التقلل من الدنيا وذمّ زينتها، والاشتغال بعمل الآخرة، الأساس الفكري لهذا التوجه. كما أن من أبرز العوامل التي ساهمت في نشأة الزهد، النظرة إلى الدنيا على أنها فانية، والعمل للآخرة باعتبارها الباقية.

ومن الآيات التي استند إليها الزاهدون في موقفهم من الدنيا، قول الله تعالى[3] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ

[1]– ر.أ.نيكلسون، الصوفية في الإسلام، نور الدين بن شربة، مكتبة الخانجي، ط2، مصر، 2002، ص 12.

[2]– محمد الحربي، ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1987، ص 182.

[3]- سورة يونس، الآية 7-8

مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾ ، والتي تبين حال المؤمنين المنصرفين إلى العمل الصالح طمعًا في نعيم الآخرة.

كما يشير العديد من الباحثين إلى أن من أبرز أسباب بروز حركة الزهد، إلى جانب الدوافع الدينية، التحولات الاجتماعية والسياسية العميقة التي بدأت منذ أواخر عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه. فقد شهد المسلمون منذ ذلك الحين اضطرابات سياسية أدت إلى انقسام صفهم، وظهور فرق متعددة مثل الخوارج والمرجئة والشيعة، حيث سعت كل فرقة إلى دعم توجهاتها وتأويلاتها للنصوص الدينية، وكسب تأييد أكبر عدد من الناس، لا سيما في ظل تلك الأوضاع المتأزمة والمشحونة بالخلافات السياسية والانحرافات العقائدية الخطيرة.[1]

وقد دفع هذا الوضع المضطرب بعض الصحابة ومن تبعهم إلى الانزواء عن الفتن، واعتزال أجواء الصراع، مفضلين السكينة والسلام، والابتعاد عن التناحر. فاختاروا العزلة نمطًا لحياتهم، وهو ما أصبح يُعرف لاحقًا بنوع من الزهد، أطلق عليه البعض "الزهد الاعتزالي"، وسُمي أصحابه فيما بعد بـ"الزهاد" ثم "المتصوفة". وتجدر الإشارة إلى أن أثر تلك الاضطرابات لم يقتصر على الصحابة فحسب، بل امتد ليشمل بعض المسلمين في تلك المرحلة الذين اتجهوا هم أيضًا إلى العبادة والعزلة، رغبةً في السلامة والنجاة من الفتن.

تُعد مرحلة الزهد – أو ما يُعرف بالمرحلة الأولى من تاريخ التصوف – من أبرز الفترات التأسيسية في نشأة الفكر الصوفي، وقد برز خلالها عدد من الأعلام الذين يمكن اعتبارهم

[1]– أبو الوفا التفتازاني، مدخل إلى التصوف الاسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط3، القاهرة، 1976، ص 68–69.

من أوائل المتصوفة، ومن أشهرهم: الحسن البصري (ت سنة 110هـ / 728م)،[1] والربيع بنت معوذ ، ورابعة العدوية (توفيت نحو 135هـ / 752م). [2]

وقد شكّلت هذه المرحلة منعطفًا هامًا في مسيرة التصوف، حيث ظهر فيها اتجاه جديد للزهد، يختلف عن النمط الأول الذي كان قائماً أساساً على الخوف من عذاب النار، والرهبة من العقاب الأخروي، فقد جاء هذا التيار الجديد بمفاهيم روحانية أرقى، تقوم على الحب الإلهي الخالص، لا بدافع الطمع في الجنة أو الخوف من النار، بل تعبدًا لله وحده، وطاعة له دون انتظار مقابل. وقد ظهرت هذه المعاني بشكل خاص مع رابعة العدوية، التي تُعد من رواد هذا الاتجاه، حيث عبّرت عن حبها لله بصدق خالص ومجرد من المصلحة.

وتُعد هذه المرحلة من الزهد نقلة نوعية نحو التصوف بمفهومه الروحي والفلسفي، حيث بدأت تتشكل أفكار جديدة ومفاهيم عميقة تتعلق بالتوبة والإخلاص، والزهد في الدنيا، والانشغال بمكارم الأخلاق،[3] والبعد عن الرياء وتصحيح النية. كما أصبح للزهد بُعد تأملي وتأويلي، وبدأ يتطور تدريجياً نحو مراتب التصوف الأعلى التي ستهتم لاحقاً بالمعرفة، والفناء، والمحبة الإلهية، وغيرها من التجليات الصوفية.

[1]– الحسن البصري: كنيته أبو سعيد كان أبوه غريانيا من مسيان وسباه المسلمون عند فتح العراق وسكن المدينة المنورة وقد أعتقهم من كان عندهم من الأنصار ولد ابنه الحسن فيها عام 522 م وغادر إلى البصرة وأقام بها إى أن توفي عام 110م. انظر: الذهبي، سسير أعلام النبلاء، ج4، مؤسسة الرسالة، 2001، ص 564.

[2]– رابعة العدوية: اسمها كما يورده ابن خلكان في ترجمة لها هو أم الخير رابعة بنت اسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عتيك وتوفيت سنة 185هـ ودفنت بالبصرة، هي الشاعرة المحبة الإلهية عند الصوفية مثلت مذهب الزهد وكانت عابدة.
انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، المجلد 01، الجزء 1، دار صادر، بيروت، 1978، ص 227

[3]– أبو الوفا التفتازاني: مدخل الى التصوف الاسلامي،دار الثقافة ،ط3،القاهرة،1976، ص87–89.

**2-المرحلة الثانية:**

امتدت من القرن الثالث الهجري حتى أوائل القرن الرابع، وشهدت تحوّلاً بارزًا في طبيعة التصوف وأهدافه، فقد بدأ المتصوفة في هذه المرحلة يُعطون أهمية كبرى للجانب الأخلاقي في الدين معتبرين أن التزكية وتهذيب النفس أعظم شأنًا من مجرد تحصيل العلم النظري.

وعليه، فقد ظهرت الصوفية كنظام من النظم على هيئة طرق وطوائف[1]، إذ بدأ بعد القرن الثاني للهجرة 8م الفرق بين الزهد والتصوف، كما قال الحارث المحاسبي (ت 134هـ/751مـ) ترك الدنيا ذكر صفة الزاهدين، وتركها مع نسيانها صفة العارفين.[2]

والعارف يواري المتصوف، فمعنى الزهد تحقق بالإعراض عن الدنيا وزينتها، وبذلك نمى التصوف من بذرة الزهد حتى أصبح طريق للمعرفة وانتقل على يد أبي يزيد الحلاج (ت 309هـ/921م).[3]

ولقد ركّزوا على أن كل معرفة لا تقترن بخشية الله لا تنفع، بل قد تضر صاحبها، وأكدوا أن العلم الحقيقي هو ما يقود إلى العمل والتقوى، لا إلى الجدل والتنظير المجرد. ولذلك، رأوا أن تهذيب الأخلاق طريق أصعب من تحصيل علوم الكتب، لكنه أكثر نفعًا وأقرب إلى الله. ولهذا أصبحت هذه المرحلة تمثّل صراعًا بين منهج روحي أخلاقي عميق، ومنهج علمي تقليدي لا يصاحبه سلوك إيماني أو إصلاح للنفس.

كما ظهر نوع أخر من التصوف يسمى التصوف السني وفيه اتبع المتصوفة قواعد الشرع الإسلامي المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه ونهج الصحابة رضوان الله عليهم وخالفوا كل من خرج عنهم، وقد ظهر هذا النوع من التصوف في المشرق الإسلامي بداية من القرن

[1] جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام ، دار الكتاب المصري، مصر، 1946 م، ص 63.

[2] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، لبنان، 2001م، ج8، ص 213.

[3] عبد الله خدر حمد، التصوف وفضاءات التأويل، الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط1، الاردن،2017، ص 29.

الثالث هجري التاسع ميلادي وهو امتداد لتيار الزهد الذي كان يمارسه مجموعة من الزهاد خلال القرنين السابقين للإسلام، وأصبح لهم حركة منتظمة أطلق على أصحابها اسم "صوفية"، وبدأ هؤلاء يتكلمون في موضوعات استحدثت في ذلك العصر مثل المقامات والأحوال، [1] كما بدأ بالكلام في دراسة النفس الإنسانية وتصنيف قواها وتبيان آفاتها وأمراضها وطريقة الخلاص منهم لأن في هذه المرحلة من التصوف اتسمت بطابع أخلاقي هدفوا من خلالها بتهذيب النفس وتعويدها على الفضائل الأخلاقية. [2]

كما ظهر نوع آخر من التصوف يدعى التصوف الفلسفي بشكل نسقي، ومنظم خلال القرنين السادس والسابع هجري/الثاني عشر والثالث عشر ميلادي، ومن أبرز أقطابه في هذا العصر السهروردي. [3]

ولقد نظر المتصوفة في هذه المرحلة إلى الأخلاق باعتبارها جوهر الدين ومقصده الأسمى، فكانت رؤيتهم تتمحور حول إصلاح النفس والارتقاء بها وصولًا إلى مرحلة الكمال الروحي. وقد دفعهم هذا التوجّه إلى الاهتمام العميق بإنشاء علم يُعنى بالأخلاق الدينية، لا على أساس العقل المجرد،[4] بل من خلال منهج ذوقي وتجريبي يركز على تهذيب النفس والتجربة الروحية.

كما أطلقوا على هذا العلم أسماء متعددة مثل: "علم التصوف"، "علم الباطن"، "العلم الحقيقي"، و"علم الحقيقة"، واعتبروه ميراثًا نبويًا روحيًا. ومن مظاهر تطوره في هذه المرحلة، ظهور الطرق الصوفية المنظمة، حيث أصبحت لكل شيخ طريقة خاصة، تدور حولها

[1]– أحمد عبد الفتاح محمد السيد، التصوف بني الغزالي وابن متيمة، ط6، دار الوفاء، المنصورة، 6235هـ/2000م، ص34.

[2] –أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، المرجع السابق، ص 104.

[3] –عبد الفتاح رواس قلعة جي، السهروردي مؤسس الحكمة الاشراقية دراسات ومختارات، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2013م، ص 41.

[4]– المرجع نفسه، ص 20.

مجموعة من التلاميذ، وتُتبع فيها آداب وسلوكيات محددة، مما جعلها بمنزلة مدارس تربوية روحية قائمة بذاتها. [1]

وفي هذه المرحلة، انقسم التصوف إلى اتجاهين رئيسيين:

3-**الاتجاه الأول** كان أقرب إلى الزهد، ومثّله أبو القاسم الجنيد بن محمد (توفي سنة 297هـ)، أحد أبرز صوفية القرن الثالث الهجري، والذي كان يلتزم بالكتاب والسنة، ويؤكد على العمل بالنصوص الشرعية، محافظًا على تعاليم الإسلام الأصيلة. وكان هذا الاتجاه يوصف بالاعتدال في المنهج والسلوك، ويحرص أصحابه على التوازن بين الباطن والظاهر.

4-**أما الاتجاه الثاني**، فقد اقترب من الطابع الفلسفي، وتأثر بأقوال الحلاج والحلول والاتحاد، وبرز فيه أبو يزيد البسطامي وذو النون المصري، ويُعد إبراهيم بن سبات المصري (توفي سنة 291 أو 292هـ) من أعمدة هذا الاتجاه في القرن الثالث الهجري،[2] وقد أسّس هذا الاتجاه التصوف الفلسفي بمضامينه العميقة التي اتجهت نحو المفاهيم الباطنية والرمزية.

وفي هذه المرحلة، برزت مصطلحات صوفية جديدة، وأُدخلت تعبيرات ورموز لم تكن معروفة من قبل، مما أدى إلى تحوّل ملحوظ في مفهوم التصوف. وظهرت لغة رمزية خاصة، وأصبح الحديث يدور حول المعرفة الذوقية، ومحبة الله، ومقامات الطريق وأحواله، كما تحددت معالم المنهج الصوفي بشكل واضح وانتشر بشكل أوسع في القرنين الثالث والرابع الهجريين. كما لم يعد التصوف مجرّد عبادة ومعرفة،[3] بل أصبح طريقًا للوصول إلى الله، قائمًا على السلوك الروحي والتهذيب النفسي. وقد اكتملت عناصر التصوف بمعناه

---

[1]- أبو الوفا التفتازاني، المرجع السابق، ص 18.

[2]- عبد الله بن دجين السهلي: الطرق الصوفية: نشأتها وعقائدها واثارها، داركنوز ،اشبيليا للنشر والتوزيع، ط 1،الرياض،2005 ص 25-30.

[3]- أبو الوفا التفتازاني، المرجع السابق، ص 99.

الدقيق، مما جعل القرنين الثالث والرابع الهجريين يُعدّان العصر الذهبي للتصوف، حيث نضجت مدارسه، وتحددت مراتب السالكين وطرقه بشكل أعمق وأدق.[1]

### 3-المرحلة الثالثة:

تميزت هذه المرحلة بتحول الصوفية إلى أسلوب وطرق، وبداية ظهور المؤثرات الخارجية من اليهودية والنصرانية والمجوسية والديانات الهندية وغيرها، وهذه مرحلة الغموض والمصطلحات وهذا الطور في القرن الرابع الهجري . [2] وهذا يعني، أن القرن الخامس الهجري شهد تحولًا مهمًا في مسار التصوف، حيث اتخذ في هذه المرحلة اتجاهًا إصلاحيًا واضحًا، بخلاف ما كان عليه الحال في القرنين الثالث والرابع الهجريين، إذ كان التصوف آنذاك يميل نحو النزعة الفلسفية والتجريدية. أما في القرن الخامس، فقد تراجع هذا الاتجاه الفلسفي بشكل ملحوظ، بينما استمر الاتجاه السني، الذي كان يقوم على التمسك بالكتاب والسنة.

وقد برز في هذه المرحلة التصوف السني المرتبط بعقيدة الأشاعرة، ومن أبرز رموزه: الإمام القشيري الذي تُعد رسالته "الرسالة القشيرية" من أوضح ما كُتب في عرض التصوف السني المعتدل، حيث أكد فيها أن إصلاح التصوف لا يتم إلا من خلال تصحيح العقيدة والخلق والسلوك. وقد كان من أهداف هذا التيار مقاومة الغلو والانحرافات التي شابت بعض الاتجاهات الصوفية، وقد تمثلت أبرز رموزه في القشيري والهرَوي، الذين اتبعوا منهجًا إصلاحيًا يستند إلى عقيدة أهل السنة والجماعة. ولاحقًا، جاء الإمام الغزالي – الذي يُنسب فكره إلى مدرسة الأشاعرة نفسها – ليكمل هذا النهج في النصف الثاني من القرن الخامس

[1]– أبو الوفا التفتازاني، المرجع السابق، ص 95.

[2] –عبد الله خدر حمد، المرجع السابق، ص 29.

الهجري، حيث تبنّى التصوف السني كوسيلة لتهذيب النفس والسير إلى الله دون الانفصال عن أصول العقيدة الصحيحة والفقه الإسلامي[1].

كما يُعتبر الإمام الغزالي من أعظم رموز التصوف الإسلامي، ومن أبرز المدافعين عن التصوف السني، وقد أسهم إسهامًا كبيرًا في ترسيخ مفهوم التصوف القائم على أساس عقدي سليم ومنهج علمي دقيق. فقد قدّم التصوف كعلم مبني على قواعد واضحة وأسس منضبطة، تنطلق من مجاهدة النفس في بدايات الطريق، والارتقاء بها في مقامات السلوك، حتى تصل إلى التوحيد، والمعرفة، والفناء، والرضا برضا الله. إضافة إلى ذلك، ركّز الغزالي في مشروعه على تهذيب النفس عبر المجاهدة، واتخاذ شيخ مرشد، واتباع منهج تربوي متكامل يشمل العزلة، والجوع، والسهر، والصمت، والذكر، والخلوة، مُبينًا العلاقة التربوية بين الشيخ والمريد، وواضعًا قواعد واضحة لهذا المسار السلوكي. وقد أدى هذا التصور المتكامل للتصوف إلى جعله أحد أركان العلوم الإسلامية، وأسهم الغزالي في تأصيله وجعله جزءًا من المنهج الديني السني، ما ترك أثرًا بالغًا على المتصوفة والعلماء الذين جاؤوا بعده، حيث تبنوا رؤيته وفهمه للتصوف والطريق إلى الله .[2] ومن خلال كتاباته، ساهم الإمام الغزالي في إعادة الاعتبار للتصوف السني، وناصره على نطاق واسع في العالم الإسلامي، مما عزز انتشاره بوصفه منهجًا روحانيًا وعلميًا متزنًا .

### 4-المرحلة الرابعة:

شملت المرحلة التعبيرية من التصوف السني القرنَين السادس والسابع الهجريين، حيث اتسع فيها نفوذ التصوف بشكل ملحوظ بفضل التأثير المتزايد للغزالي وامتداد فكره في أرجاء العالم الإسلامي بعد القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي، وقد ظهر في هذه المرحلة

[1]- أبو الوفا التفتازاني، المرجع السابق، ص 145-148.

[2]- المرجع نفسه، ص 168.

عدد من أعلام التصوف الذين أسهموا في ترسيخ الطرق التربوية الصوفية، وكان من أبرزهم الإمام أحمد الرفاعي (ت. 578هـ/1182م .)، وعبد القادر الجيلاني (ت. 561هـ/ 1166م)، وهما مؤسسا طريقتين بارزتين: "الرفاعية" و"القادرية". كما تميّز هؤلاء الأعلام بتربية المريدين وتشكيل طرق صوفية ذات معالم واضحة، واستندوا في منهجهم إلى التصوف السني الذي أسس له الغزالي، حيث جمعوا بين التزكية الروحية والالتزام بالشريعة. ولم يمنع انتشار هذا التيار السني من بروز عدد من المتصوفة المتأثرين بالفلسفة، وخاصة بالفلسفة اليونانية والأفلاطونية المحدثة، ومن بينهم: ابن عربي (ت. 638هـ/ 1240م)، والسهروردي (ت. 587هـ/ 1191م ، الذين قدموا رؤية فلسفية في التصوف امتزجت فيها التجارب الروحية بالنظريات الفلسفية.

علاوة على ذلك، امتزج فيه التصوف بالباطنيين، وهذا الطور الذي استقرت الصوفية فيه، فبدأت الطرق والمشيخة وامتزاج الصوفية بالإلحاد والحلول ووحدة الوجود وبهذا صارت الصوفية مسالك شتى لا ينظمها عقيدة واحدة ولا اتجاه واحد لا في العبادة ولا في السلوك، وإنما يجمعها وصف الطريقة. [1] وتجدر الإشارة بأن السراج الطوسي ينكر بشدة حداثة اسم التصوف لذلك يقول: " إن سأل سائل فقال: لم تسمع بذكر الصوفية في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم أجمعين، ولا فيمن كان بعدهم، ولا نعرف إلا العباد والزهاد والسياحين والفقراء، وماقيل لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: صوفي فنقول وبالله. [2]

وأما قول القائل: إنه اسم محدث أحدثه البغداديون، فمحال، لأن في وقت الحسن البصري رحمه الله كان يعرف هذا الاسم، وكان الحسن قد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم، وقد روي عنه أنه قال: رأيت صوفيا في الطواف

[1] –ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن، تلبيس إبليس، تح: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، لبنان، 2007م، ص ص 199– 205.

[2]– عبد الله خدر حمد، المرجع السابق، ص 30.

فأعطيته شيئا فلم يأخذه وقال: معي أربعة دوانيق يكفيني ما معي. وروي عن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال: لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء، وقد ذكر الكتاب الذي جمع فيه أخبار مكة عن محمد بن إسحاق بن يسار، وعن غيره يذكر فيه حديثاً: أنه قبل الإسلام قد خلت مكة في وقت من الأوقات، حتى كان لا يطوف بالبيت أحد، وكان يجيء من بلد بعيد رجل صوفي فيطرف بالبيت وينصرف، فإن صح ذلك فإنه يدل على أنه قبل الإسلام كان يعرف هذا الاسم، وكان يُنسب إليه أهل الفضل والصلاح، والله أعلم .[1]

وفي أواخر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي، تشكلت طرق صوفية سنية قادها مشايخ أخذوا بفكر الغزالي وسلكوا طريقه، ومن أبرزهم: أبو الحسن الشاذلي (ت 656هـ/1258م) مؤسس الطريقة الشاذلية، وتلاميذه أبو العباس المرسي (ت 686هـ/ 1287م) وابن عطاء الله السكندري (ت 709هـ/ 1309م)، الذين رسخوا أركان المدرسة الشاذلية، ليكونوا مع الجيلاني والرفاعي من أبرز رموز المرحلة التعبيرية للتصوف السني المنضبط. ففي هذه المرحلة التي تميزت بتطور التصوف واتساع مجاله الروحي، أصبحت "الطريقة" مصطلحاً يشير إلى مجموعة من الأتباع المرتبطين بشيخ معين، يخضعون لتوجيهه، ويقيمون حياة جماعية في الزوايا والروابط. وقد اتسموا بالانتظام في السلوك الروحي وبدقة التزامهم، حيث كانوا يعقدون مجالس العلم والذكر، ويقيمون اجتماعات دورية في مناسبات خاصة.[2]

ومن مظاهر تميّز كل طريقة عن الأخرى، أن لكل منها لباساً خاصاً يميز أتباعها؛ فمثلًا يرتدي أتباع الطريقة الرفاعية الأبيض أو الأزرق الداكن أو الأسود، بينما تلبس الطرق الأخرى ألوانًا مختلفة.[3] كما شهدت هذه المرحلة تحولًا مهمًا في انتشار التصوف، تمثل في

[1]– عبد الله خدر حمد، المرجع السابق، ص 30– 31.

[2]– أبو الوفا التفتازاني، المرجع السابق، ص 18–19

[3]– عبد الله بن الدجين السهلي، المرجع السابق، ص 13.

انتقاله – ولأول مرة – إلى منطقة إفريقيا جنوب الصحراء، حيث انتقل التصوف من الأندلس إلى بلاد المغرب العربي، ثم إلى الجنوب الصحراوي، وبرز هذا الانتشار من خلال الطرق مثل الطريقة الشاذلية.[1]

**المبحث الثالث: نشأة التصوف والطرق الصوفية:**

يتناول هذا المبحث نشأة التصوف والطرق الصوفية من حيث ظروف ظهورهما التاريخية والاجتماعية والدينية، فقد بدأ التصوف بوصفه حالة زهد فردية نابعة من الرغبة في التقرب من الله تعالى والابتعاد عن ملذات الدنيا، ثم تطور تدريجيًا ليأخذ شكلاً أكثر تنظيمًا عبر ما عُرف لاحقًا بـ"الطرق الصوفية". إضافة إلى ذلك، ظهرت هذه الطرق كجماعات روحية تتبع شيوخًا وتلتزم بمنهج خاص في السلوك والتربية الروحية مما ساهم في توسع التصوف وانتشاره في أرجاء العالم الإسلامي.

وعليه، بدأ الزهد كمرحلة أولى من مراحل التصوف في صدر الإسلام، وكان له جذوره في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام،[2] الذين التزموا بالزهد والتقشف اقتداءً بمنهج الإسلام الصحيح في العقيدة والسلوك، وقد كانت هذه المرحلة طبيعية في ظل تقلبات الحياة السياسية والاجتماعية بعد عهد الصحابة، خاصةً مع تصاعد الخلافات بين المسلمين إثر معركة صفين وظهور الانقسام بين أتباع علي وعثمان ومعاوية رضي الله عنهم.[3] وعليه، فكل هذه الظروف دفعت بعض الناس إلى الابتعاد عن صخب الحياة العامة والانشغال بالعبادة والتقرب من الله،[4] فتكوّن نمط من السلوك الروحي أُطلق عليه لاحقًا اسم

---

[1]. أبو الوفا التفتازاني، المرجع السابق، ص 239.

[2]– مصطفى حلمي، ابن تيمية والتصوف، دار إبن الجوزي، ط1، الإسكندرية، 2005، ص 52.

[3]–محمد علي أبو ريان، الحركة الصوفية في الإسلام تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2008، ص 27.

[4]–كمال الدين أبي الفضل، الموفي في معرفة التصوف والصوفي، تح: محمد عيسى صالحية، دار العروبة، ط1، الكويت 1988، ص 05.

"التصوف". ومع ذلك، يرى بعض الباحثين أن التصوف ليس امتدادًا للزهد فقط، بل إنه ظاهرة طارئة حملت معها أفكارًا دخيلة تطورت لاحقًا إلى منهج مستقل له قواعده وطرقه الخاصة.[1] وفي المراحل الأولى لنشأة التصوف، ، اتخذ التصوف طابع الزهد الخالص والابتعاد عن مظاهر الترف والانحراف،[2] فكان في بدايته طريقًا صافياً يسعى من خلاله الفرد إلى التقرب من الله عز وجل بالإخلاص والورع.[3] ومن هنا يمكن الحديث عن نشأة هذا التيار من خلال النظر إلى العوامل التي ساهمت في ظهوره، والتي تنوعت بين مصادر داخلية مرتبطة بالنصوص الدينية والسلوك النبوي، وأخرى خارجية تأثرت بثقافات وافدة.

وقد ظهرت ملامح الحركة الصوفية بوضوح في أواخر القرن الثاني الهجري/8م، عندما بدأ الناس يعرضون عن الانخراط في صراعات الحياة السياسية والاجتماعية، متجهين إلى الزهد والتأمل، مما أُطلق عليه لاحقًا اسم "التصوف".[4] وبالتالي، تميز هذا التيار بالانقطاع عن الدنيا والسعي إلى معرفة الله والاتصال به، وقد تجلى ذلك في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، (الأنعام، الآية: 52). وفي قوله سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، (الرحمن، الآية: 26-27)

[1]– يحيى الراضي، الحب في التصوف الإسلامي "ابن العربي أنموذجا" دار الكويت، ط1، دمشق، 2009، ص 52.

[2]– جميل مدبك، موسوعة الأديان في العالم "الإسلام"، تر: دار كريبس، طبعة أصلية، 2000، ص 207.

[3]–محمد علي أبو ريان، الحركة الصوفية في الإسلام تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، د.ط، الإسكندرية، 2008، ص 27.

[4]–سعيد عقيل سراج سعيد، صلة الله بالكون في التصوف الفلسفي دراسة ونقد، ج1، رسالة دكتوراه قسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدنيا، جامعة أم القرى، السعودية، 1414هـ، ص 25.

في ختام هذا الفصل، يتبيّن أن الطرق الصوفية لم تكن مجرّد تنظيمات دينية، بل شكلت مسارًا روحيًا واجتماعيًا تطوّر عبر مراحل متعددة، متأثرًا بالسياقات التاريخية والثقافية المختلفة. فقد نشأ التصوف كتعبير عن نزعة فردية للزهد والتقرب إلى الله، ثم تحوّل تدريجيًا إلى طرق منظمة ذات طقوس وتعاليم محددة، ساهمت في تشكيل ملامح الحياة الدينية والفكرية في المجتمعات الإسلامية، لاسيما في العصر المملوكي. ويُمهد هذا الأساس التاريخي لفهم أعمق لأدوار تلك الطرق وتأثيراتها في الفصول اللاحقة من الدراسة.

## الفصل الثاني: ظهور وانتشار الطرق الصوفية في العصر المملوكي

المبحث الأول: الطريقة الدسوقية والشاذلية

المبحث الثاني: الطريقة القادرية والرفاعية

المبحث الثالث: الطريقة البدوية أو الأحمدية

تُعرَّف الطريقة الصوفية بأنها الأسلوب الخاص الذي يسلكه الفرد في جماعة صوفية محددة، يعيش فيها وفق مبادئ وممارسات روحية معينة، وتكون تابعة لأحد كبار مشايخ التصوف. وعليه، تمثل هذه الجماعات مجموعة من التعاليم والآداب والتقاليد التي تميز كل طريقة عن غيرها، رغم اشتراكها في مبادئ عامة كالتوبة، والورع، والزهد، والمحبة، والمعرفة، والتوحيد، والفناء، وهي مفاهيم أساسية في الفكر الصوفي. ومع تطور التجربة الصوفية، ظهرت مفاهيم إضافية مثل الجذب، والاتصال، والاتحاد، والسُكر، والوجود، ما يعكس الديناميكية الداخلية لهذه الطرق. وقد شكّلت الطرق الصوفية ظاهرة دينية واجتماعية بارزة في العصر المملوكي، حيث لعبت دورًا محوريًا في الحياة الروحية والثقافية، وامتدت تأثيراتها إلى مختلف نواحي الحياة العامة. وقد ساهمت عوامل عدة في ازدهارها، من بينها دعم بعض السلاطين والأمراء، والتغيرات السياسية والاجتماعية التي دفعت المجتمع إلى البحث عن بدائل روحية مستقرة. ويركّز هذا البحث على أبرز الطرق الصوفية التي برزت خلال تلك الفترة، وهي: الطريقة الدسوقية والشاذلية (المبحث الأول)، التي تميزت بانتشارها الواسع وتأثيرها الديني؛ والطريقة القادرية والرفاعية (المبحث الثاني)، اللتان تمتعتا بجذور عميقة ومظاهر مميزة في الممارسات الصوفية؛ ثم الطريقة البدوية أو الأحمدية (المبحث الثالث)، التي ارتبطت بشخصية شعبية وروحية قوية كان لها حضور كبير في الوعي الديني والاجتماعي.

## المبحث الأول: الطريقة الدسوقية والشاذلية:

يُعالج هذا المبحث نشأة وانتشار طريقتين من أبرز الطرق الصوفية في العصر المملوكي، وهما الطريقة الدسوقية **و**الطريقة الشاذلية، واللتان تمثلان نموذجين للتصوف السني الذي حاول التوفيق بين الروحانية والتزام الشريعة. فقد ظهرت الطريقة الدسوقية على يد إبراهيم الدسوقي، الذي لقي قبولًا شعبيًا واسعًا، بفضل ما نُسب إليه من كرامات وزهد، بينما أسس أبو الحسن الشاذلي طريقته على أسس معرفية وروحية، مزج فيها بين العمل الروحي العميق والانفتاح على الواقع. وقد ساهمت هاتان الطريقتان في ترسيخ مكانة التصوف في المجتمع، عبر شبكة واسعة من الأتباع والزوايا، مستجيبتين لحاجات الناس الروحية والاجتماعية في ظل الأوضاع السياسية والدينية التي عرفها العصر المملوكي.

### 1- الطريقة الدسوقية وخصائصها السلوكية والروحية:

تنسب هذه الطريقة إلى إبراهيم الدسوقي، واسمه الكامل: محمد بن أبي المجد بن قريش بن محمد، وُلد سنة 633هـ / 1235م، ويعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويُعد من كبار المتصوفة. إضافة إلى ذلك، نشأ في قرية "دسوق" في مصر الغربية، وتفقه على المذهب الشافعي، ثم اتجه إلى التصوف، وظهرت عليه آثار الزهد والورع، وانتشرت كراماته بين أتباعه، فنُقلت طريقته عن أقواله وتعاليمه، توفي سنة 676هـ / 1277م[1]. إضافة إلى ذلك، تُعد الطريقة الدسوقية من أبرز الطرق الصوفية في مصر، وقد انتشر أتباعها في مختلف البلاد، وكان لهم حضور شعبي كبير.

ويعتبر البعض أن هناك تداخلاً بين الطريقة الشاذلية *والطريقة الدسوقية*، وتُسمى طريقة الدسوقي بعدة أسماء ، فتُسمّى أحياناً بالدسوقية ، نسبة إلى مدينة دسوق مقر ميلاد وإقامة وعبادة إبراهيم الدسوقي، وتعرف الطريقة أيضاً بالبرهامية نسبة إلى اسم مؤسسها.

[1]- الشعراني، لوافح الأنوار في طبقات الأخيار، ج1، مكتبة محمد المليجي الكتبي وأخيه ، د.ط ، مصر،1897، ص154

وكذلك تسمى البرهانية، نسبة إلى أحد ألقاب الدسوقي الشهيرة وهو برهان الدين، تنتشر الطريقة الدسوقية في العديد من دول العالم، والطرق المتفرعة من الطريقة الدسوقية هي البرهامية، وشيخها أكرم عقيل مظهر الشهاوية البرهامية وشيخها محمد أبو المجد الشهاوي الشرنوبية وشيخها محمد عبد المجيد الشرنوبي، السعيدية الشرنوبية وشيخها حمدي إبراهيم الشرنوبي المجاهدية وشيخها عبد القادر أحمد مجاهد البرهامية العاشورية وشيخها محمد علي عاشور الدسوقية المحمدية وهي أحدث الطرق الصوفية في مصر، وشيخها مختار الدسوقي.[1]

وفي هذا الصدد يقول: يقول الإمام محمد بن على السنوسي الإدريسي: " وأما طريق السادة البرهانية، فهو المنسوب إلى الشيخ برهان الدين إبراهيم الدسوقي، وهو مبنى على الذكر الجهرى، ولزوم الجد في الطاعات.[2] وارتكاب خطر أهوال المجاهدات، وذبح النفس بسكين المخالفات، وحبسها في سجن الرياضة، حتى يفتح الله عليها بالسراج في رياض المعرفة، ومن شأن أهل هذه الطريقة السنية الاستكثار بذكر" دايم"، بياء النداء، سيما في ضم مجالس التلاوة والذكر الجهري بالجلالة مع الهوية، ومن شأنهم ليس الزي وهو الأخضر". [3]

فالإمام السنوسي يصف الطريقة البرهانية بأنها مدرسة روحية قائمة على التزكية الشديدة للنفس، من خلال الذكر الجهري، المجاهدة، والرياضة، وكل ذلك يهدف للوصول الى الفتح والمعرفة الإلهية، كما يبرز خصائصها السلوكية والرمزية، في طريقة الذكر واللباس،[4] مما يعكس خصوصية هذه الطريقة ضمن بقية الطرق الصوفية.

---

[1] –محمد قاسم الشوم، التصوف المفترى عليه، تح: خليل محي الدين الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014م، ص 157.

[2]– محمد بن علي السنوسي. المسائل العشر في علم التصوف. تح: عبد القادر فاسي الفهري، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1996، ص 143

[3]– عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها– الرفاعي– الجيلاني– البدوي– الشاذلي– الدسوقي، دار المعارف، ط5، د.س، ص 163.

[4]– محمد شاكر الجندي، إبراهيم الدسوقي: حياته وتعاليمه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989، ص 143

وحقيقة الطريق لا يقدر عليها إلا كل مجاهد للنفس مجاهد لهواه.وفي هذا السياق، يقول الإمام الدسوقي: واعلم أن الطريق إلى الله تفنى الجلاد وتفتت الأكباد وتضنى الأجساد وتدفع الشهاد، وتسقم البدن وتذيب الفؤاد فهيمان القلب في باطن الأمر، ونشأن السكر في مداومة الذكر، ومجاهدة النفس والحواس والحس في حصول الأنس، وهو الهيمان الحقيقي المشكور الذي هو أفضل من هيمان كل واد ودأب مبرور، والمحافظة على السنن والفروض والتأهب يوم العرض الطريقة كلها عند الدسوقي ترجع إلى كلمتين، تعرف ربك وتعبده فمن قبل ذلك عنده فقد أدرك الحقيقة والشريعة.[1]

ويلاحظ أن الدسوقى يجعل: " الطريقة كالخلافة أو الإمامة، تأخذ العهد والتربية من شيخ عن شيخ ".

## 2- الطريقة الشاذلية:

تنسب الطريقة الشاذلية إلى أبي الحسن الشاذلي، وهو علي بن عبد الله بن عبد الجبار، وُلد في بلدة "غمارة" في منطقة الريف المغربي، وتربّى في مدينة فاس، حيث تلقى علوم الفقه والتصوف. كما سكن في تونس بالقرب من منطقة تُعرف بـ"شاذلة"، التي نُسبت إليها طريقته. وبدأ بدراسة علم الكيمياء، ثم تركه واتجه إلى الحج،[2] مارًا ببلاد المشرق، واستقر فترة في مدينة الإسكندرية. وبعد ذلك، انتقل إلى بلدة "عيذاب" بصعيد مصر، حيث توفي ودُفن هناك سنة 656هـ / 1258م.[3] وعليه، قد عُرف الشاذلي بعلمه وتأثيره الكبير في أتباعه حتى أصبح من أبرز أعلام التصوف في العالم الإسلامي.

---

[1] –عبد الوهاب الشعراني، المصدر السابق، ص 44.

[2]– عبد العزيز شهبي، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2007م، ص 106 – 107.

[3]–الشعراني، الطبقات الكبرى،تح : احمد عبد الرحيم السايح، توفيق علي وهبة،مكتبة الثقافة الدينية،ط2005،1،ج2، ص4. الصفدي، الوافي بالوفيات، دار صادر، ط2، بيروت، ،1991 ، ج21، ص 141.

**أ- أوراد الطريقة الشاذلية:** ويلتزم أتباع الطريقة الشاذلية طريقة معينة في الذكر، وهي الاستغفار مائة مرة ( استغفر الله )، والصلاة على الرسول ( ص) مائة مرة (اللهم صلي على سيدنا محمد النبي الأمي)، والشهادة مئة مرة وذلك كل صباح ومساء، بالإضافة إلى حضور الحضرة وزيارة المقدم والحديث إليه مرة في الشهر، ثم التوبة الدائمة، وطلب الغفران من الله والرجوع إليه بكرة وعشية هذا هو الوجه الظاهري أو العام للأذكار والممارسات الشاذلية.

**ب- أصول الطريقة الشاذلية:** تقوى الله في السر والعلانية، إتباع السنة في الأقوال والأفعال، الإعراض عن الخلق في السر والعلانية والإقبال والإدبار، والرضا بقضاء الله في القليل والكثير، الرجوع إلى الله تعالى في السراء والضراء، ومبادئ الطريقة مليئة بالحث على الجهاد، وقد شارك الشاذلي نفسه في مقاومة الهجمات الصليبية على مصر بالرغم من كبر سنه،[1] ، وجاء في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾.[2]

**المبحث الثاني: الطريقة القادرية والرفاعية:**

يتناول هذا المبحث الطريقة القادرية والطريقة الرفاعية، وهما من أقدم الطرق الصوفية التي امتد تأثيرها وانتشرت في أرجاء العالم الإسلامي، ومنها مصر في العصر المملوكي. تُنسب الطريقة القادرية إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، الذي عُرف بعلمه وتقواه، وقد اتسمت طريقته بالاعتدال والتمسك بالكتاب والسنة، مما منحها قبولًا لدى فئات واسعة من المجتمع. أما الطريقة الرفاعية، التي أسسها أحمد الرفاعي، فقد اشتهرت بطقوسها الحماسية ومظاهرها الشعائرية الخاصة، مثل التمايل وضرب الأجساد، والتي أثارت جدلًا في

[1]- الحسني، عبد المنعم القاسمي :الطريقة الخلوتية الرحمانية: الاصول والاثار ، دار خليل القاسمي، الجزائر،2013 المرجع السابق، ص .4

[2]- سورة الأنفال: الآية 45.

الأوساط الدينية، وقد ساهمت كلتا الطريقتين في ترسيخ دور الزوايا والطرق الصوفية كمؤسسات روحية واجتماعية فاعلة في الحياة اليومية للناس خلال العصر المملوكي، ومن أهم الطرق الصوفية الأخرى التي انتشرت في مصر وبلاد الشام:

## 1- الطريقة القادرية:

تنسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت 561هـ / 1166م)، [1] ومن خصائص هذه الطريقة التأكيد على التوكل والخضوع للمقادير الإلهية، وموافقة النفس للقدر، وتطهير الظاهر والباطن، والتجرد في التوحيد مع الحضور في مقام العبودية.[2] وقد اعتبرها ابن تيمية من الطرق الصحيحة، بل وامتدح الشيخ عبد القادر، وقال عنه: "من أئمتنا الذين نختار الانتساب إليهم، وقد وافق آراءه الفقهية في عدة مسائل". [3]

تأسست الطريقة القادرية خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، فهي تنتسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، نسبة إلى بلدة جيلان مسقط رأسه، ومنها انتقل إلى بغداد، وانضم إليه كبار الفقهاء والأعلام المحدثين.[4]

وتعرف القادرية الكنتية بالمختارية نسبة للشيخ المختار الكنتي الكبير (ت1226). وقد كانت واحدة من أهم الطرق الصوفية وأكثرها انتشارا، وذلك كان بتضافر عدة عوامل أدت في النهاية إلى قيامها واستمرارها بعد وفاة مؤسسها ومنها: اهتمام الإمام الجيلاني بإرساء

---

[1]–عبد القادر الجيلاني (1077 م – 1176 م ): هو أبو محمد عبد القادر الكيلاني بن أبي صالح موسى، بن عبد الله بن يحي بن محمد بن داود بن موسى، بن عبد الله بن الحسن المثني، بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولد في بلدة جيلان أو كيلان الموجودة حاليا بالأراضي الإيرانية، قرب مدينة طبرستان، وفيها تلقى مبادئ الشريعة الإسلامية، ثم رحل إلى بغداد مجمع العلماء، وتوفي فيها عن عمر ما يقرب 90 سنة، وله مؤلفات منها: "الفتح الرباني" و "الفيض الرحماني"، "الغنية لطالبي طريق الحق"، وفتوح الغيب، للمزيد انظر: عبد القادر الجيلاني: الغوث الأعظم (الديوان الفارسي)، تر: منال اليمني عبد العزيز، دار الأفاق للنشر والتوزيع، ط 1، 2016م، ص 9–10.

[2]– الشعراني، المصدر السابق، ص 109

[3]– ابن تيمية تقي الدين أحمد عبد الحليم (ت 728هـ/ 1327م)، مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء ، ط3،، دمشق، 2005، ج5، ص 85.

[4]–صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 143.

قواعد طريقته على الأصول الواضحة في الكتاب والسنة، مما جنب آراءها وأفكارها من خطر الوقوع في مزالق التأويلات والخوض في الفرعيات، فظلت طريقته واضحة المعالم حتى بعد وفاته بقرون، وترك لنا الإمام الجيلاني نسل كثير، فعمل أولاده وأحفاده من بعد على إحياء طريقته من بعده، فخلفه في مشيخة الطريقة أبناؤه ومنهم: عبد الوهاب[1] المتوفي 593 هـ/ 1196م، وتلقي العديد من الصوفية الوافدين من أقطار العالم الإسلامي الطريقة القادرية، وقد عمل هؤلاء على نشرها في أوطانهم.

**أ- مبادئ القادرية وأهم ركائزها:**[2]

- **الصبر**: ويتجلى في ثلاث أصناف صبر على الطاعة، والمعصية، البلاء والمصائب.
- **الشكر**: هو من ركائز المؤدية للسير في طريق الله سبحانه وتعالى، ويكون باللسان والقلب والجوارح والقول والفعل.
- **التواضع**: وهو من صفات الأنبياء والصالحين، وقد كان الشيخ الجيلاني أكثر الناس تواضعا، كذلك الصدق والإخلاص فلا تستقيم العبادة إلا بهم وهما أساس كل شيء وسبيل كل طريق.
- **التوكل على الله تعالى**: وهو من أعظم وأجل صفات السالكين على الطريق، بل هو صفة ملازمة لهم في أحوالهم كلها، وهو الثقة بالله سبحانه وتعالى، واليأس عما في أيدي الناس.
- **الزهد في الدنيا وطلب الآخرة**: فالزهد هو أساس التصوف وماهيته.

---

[1]- عبد الوهاب ( 522هـ – 593 هـ ): هو الشيخ الفقيه الزاهد الواعظ عبد الوهاب بن عبد القادر، من بغداد قام بالتدريس بالمدرسة القادرية، بعد وفاة والده، وله مؤلفات عديدة نذكر منها: " لسان فصيح في الوعظ"، وقد جعله الإمام الناصر لدين الله على دايون المظالم، للمزيد أنظر: يوسف محمد طه، الطريق الصوفي و فروع القادرية بمصر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991، ص 176

[2] – أحمد غسان سبانو، عبد القادر الجيلاني ( حياته، نسبه، مؤلفاته )، دار الينابيع لطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، سوريا، 2009م، ص 266.

- **الرضا والحب:** وهو رضا القلب بأمر القضاء، وقضاء الله تعالى هو صفة ملازمة لجميع أرباب الطريق، أما الحب هو شعار السالكين الصادقين، وهو منبع الصفات الحميدة كلها في أصحاب الطريق.

- وأخيرا **المجاهدة والرحمة:** وهي وسيلة الطريق وبدونها لا يكتمل، أما الرحمة فهي نتاج الحب في المتصوفة، وهي أساس تفريقه عن غير المتصوفة .[1]

**ب- أوراد الطريقة القادرية:**

إلى جانب تعاليم الطريقة القادرية وتوجهاتها العامة، كان على أتباعها الالتزام بالأذكار والتي يلخصها أبو القاسم سعد الله في:{ ذكر الله وحده والإكثار من الصلوات، وذكر أن بعضهم أضاف استغفر الله أو اللهم صلي على محمد النبي الأمي، كما يقرأ أتباع القادرية المقربين أثناء الحضرة الفاتحة بعد الصلوات الخمس، ويصلون على النبي والله عدد 121 مرة في شكل جماعي، ويذكرون عبارة سبحان الله والحمد الله، ولا اله إلا الله والله اكبر 121 مرة، ويقرؤون أيضا سورة ياسين، وبعض الأدعية والقراءات} .

ويخالف عبد الباقي مفتاح حينما يتحدث عن أوراد القادرية ما سبقت الإشارة إليه، ويذكره بنوع من التفصيل والتدقيق، ويعرفه كالتالي: الورد العام اللازم للقادرية يقدم لكل منخرط، وهو ذكر جماعة بعد صلاة الجمعة ما يلي: اللهم صلي على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى اله وصحبه وسلم 10 مرات، ثم بسم الله الرحمن الرحيم (100مرة) ثم فاتحة الكتاب، ثم الصلاة والسلام عليك يا سيدنا حبيب الله، الصلاة والسلام عليك يا سيدنا يا نبي الله، الصلاة والسلام عليك يا سيدنا يا رسول الله، الصلاة والسلام عليك يا سيدنا يا خير خلق الله، ثم لا اله إلا الله مرة واحدة، لا اله إلا الله (200 مرة)، الله (100مرة)، والشهادة (مرة واحدة)[2] ، قال الله تعالى :﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ**

[1]-أحمد غسان سبانو، المرجع السابق، ص269 .

[2]- عبد الباقي مفتاح: أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت(لبنان)، 2009م، ص 308.

﴿عِندَ اللَّهِ ۚ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] (مرة واحدة ).

استغفر الله الغفور الرحيم الذي لا اله إلا الله هو الحي القيوم وأتوب إليه (100 مرة )، ثم أشهد إن الله لا إلا اله الله هو الحي القيوم وأتوب إليه (03 مرات )، هذا إضافة إلى الدعاء ويختم ب: اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى اله صلاة أهل السماوات والأرض عليهم، وأرجوا يا رب لطفك في أمورنا ( 03 مرات )، ثم سورة الإخلاص ( 10 مرات ) والمعوذتين، ثم الدعاء والفاتحة.

**2- الطريقة الرفاعية:**

أسسها أحمد بن علي الرفاعي (ت 578هـ / 1182م)، وهي طريقة انتشرت في أوساط العامة والخاصة، واشتهرت بشدة التواضع والزهد، ورافع لوائها الإمام الكبير سيدي أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه. ثم تتابع من بعده تلاميذه وخلفاؤه ومحبوه الذين انتظموا في مسلكه وتبعوا خطواته في الطريق والسلوك والإرشاد في كل زمان وفي كل مكان وعلى مدى العصور الماضية. وفي ذا الصدد قال الإمام أبو الهدى الصيادي في كتابه الطريقة الرفاعية: " قد علم علماء الحقيقة من فرسان ميادين الطريقة، أن أصول الطريقة العلية الرفاعية، مبنية على أساسين عظيمين، لا تنفك عنهما بحال من الأحوال، وهما: الكتاب العزيز والسنة السنية المحمدية، وقد قام بناء تلك الأصول على دعائم المعقول، كلها حكم عقلية وحقائق نقلية، لا تتجاوز الوسع العقلي، ولا تتعدى النص النقلي، وإن وجد في بعض أعمالها المباحة عمل، فذلك من ترويح القلوب الذي نص عليه النبي المحبوب عليه الصلاة والسلام، وبه يقضي العقل الصالح، كي لا يسأم الرجل في عمله، فينقلب صالح عمله سيئا".[2]

[1]- سورة الحديد: الآية 19.

[2]- فواز بن بشار حسني، الفيوضات المحمدية على الطريقة الرفاعية، كتاب ناشرون، مصر، 2014م، ص 32ـ 33.

أما عن سيرة السيد أحمد الرفاعي الذي عاش في القرن السادس الهجري. فقد ولد السيد أحمد الرفاعي في قرية حسن في أم عبيدة في منطقة البطائح في واسط في سواد العراق في حوالي العام 512 هجرية أي حوالي العام 1119 ميلادية و توفي في العام 578 هجرية أي حوالي العام 1183 ميلادية. والسيد أحمد الرفاعي هو قطب صوفي بارز في التاريخ الصوفي الإسلامي .فقد كان له الفضل في تأسيس الطريقة الرفاعية كأم الطرايق و التي تفرعت منها الكثير من الطرق الصوفية الأخر. فقد ولد السيد أحمد الرفاعي في فترة استشرى فيها البعد عن الدين والإنشغال يمتع الدنيا فكانت الطرق الصوفية القادرية نسبة إلى السيد عبد القادر الجيلاني والرفاعية بعدها نسبة إلى السيد أحمد الرفاعي نوعا من الرد على العيش بعيدا عن أسس الدين وتعاليمه و الانشغال بالدنيا. [1]

إضافة إلى ذلك، يمتد نسب السيد أحمد الرفاعي إلى السيد موسى الكاظم بن جعفر الصادق وصولا إلى سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنه فهو السيد أحمد الرفاعي الحسيني فهو :السيد أبو العباس أحمد بن علي بن يحيى بن ثابت بن الحازم علي أبي الفوارس بن أحمد المرتضى بن علي بن الحسن الأصغر المعروف برفاعة بن مهدي المكي أبو رفاعة بن أبي القاسم محمد بن الحسن القاسم المكنى بأبي موسى بن الحسين عبد الرحمن لقبه الرضي المحدث من أحمد الصالح الأكبر بن موسى الثاني بن إبراهيم المرتضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي الأصغر بن الحسين بن علي بن أبي طالب وأم الحسين فاطمة الزهراء بنت الرسول محمد ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن

[1]– مصطفى حميدو، القصة الكاملة لسيرة عائلتنا الشاملة تاريخ عائلي يمتد لقرون، منشورات خاصة، 2014م، ص 48ـ 49.

غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. [1]

ولقب الرفاعي يعود إلى رفاعة جده السابع و اسمه الحسن وكان الحسن أيام اضطهاد أحفاد علي رضي الله عنهم قد ترك مكة واتجه الى المغرب ثم عبر منها الى الأندلس وأقام في قرية قرب إشبيلية وعاش هناك و عاشت عائلته بعده هناك إلى أن قرر أحد أحفاده يحيى الحج فقدم مكة وأقام بها لفترة ثم اتجه إلى البصرة في العام 450 هجرية أي حوالي العام 1059 ميلادية فأقام بها وخطب فيها للخليفة المستنصر وتولى فيها نقابة الأشراف وتزوج من بناتها فولد أبي الحسن علي الرفاعي في العام 459 هجرية أي حوالي العام 1067 ميلادية الذي أعقب السيد أحمد الرفاعي. و يبدو أن السيد يحيى بن ثابت بن علي الحازم قد جاء للحج مع أعمامه وأقاربه قاصدين موطن أجدادهم القديم و منهم عمه محمد عسله بن علي الحازم الرفاعي الذي أعقب السيد حسن و الذي بدوره أعقب السيد سيف الدين عثمان.[2]

وتكمن عقائد الطريقة الرفاعية في:

هو أن يعتقد المرء أن الله واحد لا شريك له، فرد لا مثل له، صمد لا ضد له، متفرد لا ند له؛ وأنه قديم لا أول له، أزلي لا بداية له، مستمر الوجود لا آخر له، أبدي لا نهاية له، قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له، وهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، لا يماثل موجوداً، ولا يماثله موجود، وليس كمثله شيء، ولا هو مثل شيء، لا يحده المقدار، ولا تحويه الأقطار، ولا تحيط به الجهات، ولا تكتنفه السموات العرش وحملته محملون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، بائن بصفاته عن خلقه، ليس في ذاته سواه، ولا في سواه ذاته،

[1]– جمال الدين فالح الكيلاني، زياد حمد الصميدعي ، الإمام أحمد الرفاعي المصلح المجدد، المنظمة المغربية للتربية والثقافة والعلوم، المغرب، 2013م، ص 12.

[2]– مصطفى حميدو، المرجع السابق، ص 49.

مقدس عن التغير والانتقال، منزه عن الغيبة والزوال، حي قادر جبار، قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز، ولا تأخذه سنة ولا نوم.[1]

ولا يعارضه فناء ولا موت، ذو الملك والملكوت، والعزة والجبروت، وله السلطان والقهر، والخلق والأمر عالم بجميع المعلومات، مريد للكائنات، مدبر للحادثات، وهو المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، لا راد لحكمه، ولا معقب لقضائه، ولا مهرب لعبد عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته، ولا قوة لطاعته إلا بمحبته وإرادته، سميع بصير، لا يعرب عن سمعه مسموع وإن خفي، ولا يغيب عن رؤيته مرئي وإن دق متكلم آمر، ناه واعد، متوعد بكلام أزلي قديم، قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق ليس بصوت يحدث من السلال الهواء، واصطكاك أجرام، ولا يحرف يتقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان، وأن القرآن والتوراة والإنجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله، وأن القرآن مقروء بالألسنة، مكتوب في المصاحف. ويطلق على الطريقة الرفاعية البطائحية نسبة لقرى البطائح بالعراق، وهي بين البصرة وواسط، وتزوج الرفاعي العديد من النساء ولكنه لم يعقب ولذلك خلفه على المشيخة من بعده علي بن عثمان (ت 584 هـ/ 1188 م) ثم خلفه عبد الرحيم بن عثمان (604هـ/ 1207 م) وكان الرفاعي يحض أتباعه على العلم والتمسك بالسنة و التزام الشريعة ظاهرا وباطنا، ويدعوا لاحترام العلماء والفقهاء .فالشريعة عند الرفاعي هي طريق الوصول الله إذ لا فائدة بالسعي والعمل على الطريق المغاير للشرع، ولو عبد الله العابد خمسمائة عام بطريقة غير شرعية فعبادته راجعة إليه، ووزره عليه، ولا يقيم له الله يوم القيامة وزنا. [2]

وركعتان من فقيه في دينه أفضل عند الله من ألفي ركعة من فقير جاهل في دينه، فإياكم وإهمال حقوق العلماء، وعليكم بحسن الظن فيهم جميعا .وأما أهل التقوى منهم العاملون بما علمهم الله فهم الأولياء على الحقيقة فلتكن حرمتهم عندكم محفوظة. وتقوم الطريقة الرفاعية أولا على القول بصحة رواية الخرقة و المشيخة وأخذ العهد من شيخ عن

[1] – فواز بن بشار حسني، الفيوضات المحمدية على الطريقة الرفاعية، كتاب ناشرون، مصر، 2014م ، ص 36.

[2] – المرجع نفسه، ص 36.

شيخ، و تعتمد الإكثار من الخلوات والأدعية والأذكار وقراءة الأحزاب والأوراد .و على المريد اتباع تعاليم الإمام و هي خمس خصال:[1]

– موافقة السلف على حالهم

–لباس ثوب التعرية من الدنيا والنفس .تحمل البلاء والاستسلام .

**المبحث الثالث: الطريقة البدوية أو الأحمدية:**

تُعد الطريقة البدوية، المعروفة أيضًا بالأحمدية، من أبرز الطرق الصوفية التي ظهرت وانتشرت في مصر خلال العصر المملوكي، وتنسب إلى الشيخ أحمد البدوي، أحد الشخصيات الصوفية ذات الحضور الشعبي القوي. وقد حظيت هذه الطريقة بمكانة خاصة لدى عامة الناس، لما ارتبط بها من كرامات منسوبة لمؤسسها، إضافةً إلى دورها الاجتماعي والديني في حياة المصريين. وقد أسهم انتشار الزوايا والتكايا التابعة للطريقة الأحمدية في توسيع نفوذها، حتى أصبحت واحدة من أكثر الطرق تأثيرًا في المجتمع المملوكي، خاصة في مدينة طنطا التي أصبحت مركزًا روحيًا يحتضن الاحتفالات الدينية والمواسم السنوية المرتبطة باسم الشيخ البدوي، مما يعكس تداخل التصوف مع الحياة اليومية والثقافية في تلك المرحلة.

وهي في الأصل فرع من الطريقة الرفاعية، وتنسب إلى أحمد بن علي الرفاعي نفسه (توفي 578هـ / 1182م).[2] أُطلق عليها اسم "الحمدية" نسبة إلى بعض سلوكيات أتباعها، ولكنها وُوجهت بالرفض من بعض علماء الفقه، مثل ابن تيمية، الذي ألف كتابًا بعنوان *"كشف حال مشايخ الحمدية وأحوالهم"*، انتقد فيه مظاهر الغلو في هذه الطريقة وبعض تصرفات أتباعها. وعليه، تنسب الطريقة البدوية إلى السيد أحمد بن علي بن أبي بكر البدوي، الذي تعود أصوله إلى بلاد المغرب، حيث وُلد في مدينة فاس، ثم أقام في مكة المكرمة والمدينة

[1] أحمد الرفاعي، البرهان المؤيد، تح: صفوة السقاء ، دار الكتاب النفيس، بيروت، 1988م، ص 61.

[2]– الشعراني، المصدر السابق، ص 155.

المنورة. دخل مصر في عهد السلطان الظاهر بيبرس، الذي استقبله بإجلال، وأسكنه في داره العسكرية، وأكرم وفادته.[1] زار السيد البدوي بلاد الشام والعراق، ثم استقر في مدينة طنطا، حيث ازداد شأنه، وانتشرت طريقته بين عامة الناس وخواصهم، بما فيهم بعض سلاطين المماليك. وقد توفي سنة 675هـ / 1276م، ودفن في طنطا، التي أصبحت مزارًا كبيرًا يؤمّه الناس من جميع أنحاء مصر، وتُقام فيه الاحتفالات بذكرى مولده سنويًّا.[2]

وقد أورد مقاطع من كتب التراث الصوفي التي تؤرخ له، منها"الطبقات الوسطى" ، وهو كتاب يُعنى بذكر تراجم الأولياء والصالحين" والذي توسّع في شرح طريقة السادة الأحمدية . ويقول في ذلك: " ومنهم شيخ الخرقة أبو العباس أحمد البدوي الحسيب النسيب – رضي الله عنه – وشهرته في مصر والشام والحجاز واليمن، والهند، والسند، والروم والغرب تغني عن تعريفه، ولكن نذكر لك يا أخي جملة من أحواله على سبيل التبرك، فأقول – وبالله التوفيق". فإن أجداده الشرفاء؛ انتقلوا أيام الحجاج إلى أرض المغرب لما كثر القتل في الأشراف، ولما بلغ سبع سنين سمع أبوه قائلا يقول له في منامه: يا علي انتقل من هذه البلاد إلى مكة، فإن لنا في ذلك شأنا، وذلك في سنة ثلاث وستمائة .قال الشريف حسن أخو سيدي أحمد فما زلنا ننزل عند عرب، وترحل من عرب، ويتلقونا بالترحيب والإكرام حتى دخلنا مكة في مدة أربع سنين، فتلقانا شرفاء مكة كلهم وأكرمونا وجلسنا عندهم . مهم أرعد عيش حتى توفي والدنا سنة سبع وعشرين وستمائة، ودفن بباب المعلى وقبره هناك ظاهر يزار في زاوية.[3]

وفي هذا السياق، قال الشريف حسن: " فأقمت أنا وإخوتي، وكان أحمد أصغرنا سنا، وأشجعنا قلبا، وكان لكثرة ما يتلثم سميناه باليدوي، فأقرأته القرآن مع ولدي الحسين، ولم يكن

[1]– كمال الدين محمد الحريري سبط الرفاعي، معجم الطرق الصوفية المفصل (تبيان وسائل الحقائق في بيان سلاسل الطرائق)، تح: عبد السلام محمد الأمين، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 2024م، ج1، ص 129.

[2]– محمد قاسم الشوم، المرجع السابق، ص 156، 157.

[3]– كمال الدين محمد الحريري سبط الرفاعي، المرجع السابق، ص 130.

في فرسان مكة أشجع من أخي أحمد حتى كانوا يسمونه في مكة بالعطاب. فلما جاءته المواهب الإلهية، وحدث عليه حادث الوله تغيرت أحواله، واعتزل عن تحليل".

ومن خلال هذا نستنتج أن الشيخ أحمد البدوي له صفات البدنية وشجاعة كبير، وقد حدث له حادث روحاني كبير، يسمّيه النص بـ"حادث الوله" أي حالة من الانجذاب الروحي أو الجنون الإلهي في التعبير الصوفي . بعدها تغيّرت أحواله، وبدأت رحلته الصوفية والعزلة، وكلام الشريف حسن يُظهر لنا التحوّل من الفروسية الدنيوية إلى الولاية الصوفية، حيث يرسم صورة الولي الكامل الذي جمع بين النسب الشريف، الشجاعة، العلم، والروحانية .

وبعد وفاة سيدي أحمد البدوي وانتشار تلاميذه في كل مكان، كما تفرعت الطريقة البدوية إلى ست عشرة طريقة وهي : المرازقة، الكناسية الانبابية المنايفة الحمودية، السلامية الحلبية الزاهدية، العشيبية البيومية، التسقانية الشناوية العربية، السطوحية، المسلمية البندارية، وهذه الفروع تسير في نهجها على طريقة البدوي فيتلو أهلها أحزابه وصلواته ويتدارسون تعاليمه ووصاياه. [1]

وعليه، تقوم الطريقة البدوية على لبس الخرقة، من شيخ عن شيخ والعهد بها والمبايعة والخرقة البدوية خرقة حمراء .قال البدوي يوصي تلميذه الكبير عبد العال: يا عبد العال اعلم أني اخترت هذه الراية الحمراء لنفسي في حياتي وبعد مماتي. وهي علامة لمن يمشي على طريقتنا من بعدي قال: فقلت له : يا سيدي فما شروط حملها ؟ قال: من شروطه أن لا يكذب ولا يأتي بفاحشة وأن يكون غاض البصر عن محارم الله تعالى طاهر الذيل عفوف النفس خائفا من الله تعالى عاملا بكتاب الله تعالى ملازما للذكر دائم الفكر ويقول ابن عبد الصمد افتدى سيدي أحمد البدوي بجده رسول الله في ليس الحلة الحمراء. [2]

[1]– أحمد البدوي، أوراد وأحزاب وصلوات سيدي أحمد البدوي، تق : الشريف رجب الطيب، عمر أحمد الرواي، كتاب ناشرون، مصر،( د ت)، ص 10.

[2]– أحمد البدوي، المرجع السابق، ص 11.

وبالتالي، لم تكن هذه الطرق الصوفية بمعزلٍ عن النقد والمعارضة، بل قوبلت أحيانًا بالرفض والإنكار، خاصة من بعض العلماء والفقهاء الذين لاحظوا تجمع المريدين ليلًا في حلقاتٍ يتغنون فيها وينشدون ويرقصون،[1] وهو ما يُعرف عندهم بحالة "الوجد" التي يولّدها السماع في القلوب، والتي قد تدفع إلى تحريك أعضاء الجسد تعبيرًا عن التأثر الروحي.

أما الشيخ ذو نون المصري فقد وضع شروطًا دقيقةً لسماع الذكر، منها أن يكون في مكان لا يطّلع فيه عليهم غيرهم، وأن يخلو من النساء، وأن يتم بأدب وسكينة دون صخب أو حركات مبالغ فيها. ومع ذلك، أشار إلى أنه لم يجد من الصوفية من التزم بهذه الشروط التزامًا تامًا. وفي السياق ذاته، عبّر إدريس بن عبد الكريم الكدبي عن رأيه في هؤلاء المتصوفة قائلاً إن حبهم للسماع والغناء أضلّ عقولهم، فاستزلهم الشيطان، وجعلهم يعتقدون أن ما يفعلونه هو من الدين ويقرّبهم إلى الله، في حين أنه بعيد كل البعد عن الشريعة.[2] [3]

وعندما أصبحت ظاهرة الذكر عند "الإخوانية" مصدر إزعاج وقلق، حاولت الدولة المملوكية وضع حدّ لها، فأصدرت مرسومًا في سنة (852هـ / 1448م) يقضي بمنع ممارسة الرقص والعزف على المزمار وما شابه ذلك في بعض الزوايا التي كانت تمارس فيها هذه الطقوس وعليه، فقد اشتهرت هذه الزوايا بأتباعها المعروفين بتناولهم للحشيش، وكان بعضهم من أتباع الطريقة القلندرية، مما زاد من الشبهات والانتقادات الموجهة إليهم.

[1]– الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج2، دار ابن حزم ، ط2، بيروت ،2005، ص270

[2] – السخاوي، وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تح: بشار عواد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1995، ج 2، ص 621-622

من خلال ماسبق يمكن القول إن الطرق الصوفية في العصر المملوكي لم تكن مجرد تنظيمات روحية معزولة، بل كانت مؤسسات دينية واجتماعية مؤثرة، لعبت دورًا كبيرًا في تشكيل الحياة الثقافية والروحية للمجتمع. فقد شهد هذا العصر بروز عدد من الطرق الصوفية الكبرى، مثل الدسوقية والشاذلية، والقادرية والرفاعية، والبدوية أو الأحمدية، والتي اختلفت في مناهجها وممارساتها لكنها اشتركت في سعيها نحو التزكية الروحية والتقرب إلى الله. وقد ساهمت هذه الطرق في نشر قيم الزهد والمحبة والتسامح، كما أوجدت روابط قوية بين الشيوخ والمريدين، وأسهمت في دعم الفقراء والمحتاجين. وعليه، رغم بعض الانتقادات التي وُجّهت إليها، فإن تأثيرها الواسع والملموس يعكس مدى حضورها العميق في نسيج المجتمع المملوكي.

# الفصل الثالث: أدوار الطرق الصوفية في العصر المملوكي

المبحث الأول: دور الطرق الصوفية

المبحث الثاني: أهمية الطرق الصوفية

المبحث الثالث: الانعكاسات المتباينة للطرق الصوفية

برزت الطرق الصوفية في العصر المملوكي، كقوة روحية واجتماعية مؤثرة في مختلف جوانب الحياة الدينية والثقافية والسياسية، حيث لعبت أدوارًا متعددة تجاوزت حدود الزهد والعبادة، لتشمل المشاركة الفاعلة في تثبيت الاستقرار المجتمعي وتعزيز سلطة الدولة، ونشر العلم والتربية الروحية. وقد تنوعت أهمية هذه الطرق، فلم تقتصر على الجانب الديني فقط، بل امتدت لتشمل أبعادًا اجتماعية وثقافية واقتصادية، مما جعلها جزءًا لا يتجزأ من النسيج الحضاري للعصر المملوكي، إلا أن انعكاسات هذه الأدوار لم تكن موحدة، بل تباينت بين تأثيرات إيجابية عززت التماسك المجتمعي وسلبيات تمثلت أحيانًا في التعصب أو استغلال النفوذ الديني. وعليه، يتناول هذا الفصل دراسة متكاملة لأدوار الطرق الصوفية في ذلك العصر، من خلال ثلاث مباحث رئيسية: يُعنى أولها بدور الطرق الصوفية في الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية، بينما يركز الثاني على أهمية هذه الطرق كمؤسسات روحية وثقافية، ويناقش الثالث الانعكاسات المتباينة لتأثيرها، بما في ذلك الجوانب الإيجابية والسلبية، لفهم أعمق لطبيعة حضورها في المجتمع المملوكي.

## المبحث الأول: دور الطرق الصوفية:

لعبت الطرق الصوفية دورًا محوريًا في تشكيل ملامح الحياة الدينية والاجتماعية في المجتمعات الإسلامية ولا سيما في العصور المتأخرة، فقد تجاوز تأثيرها الجانب الروحي والعبادي إلى مجالات التعليم والخدمة الاجتماعية والسياسية. وقد مثّلت هذه الطرق ملاذًا للناس في ظل الاضطرابات السياسية والتغيرات الاجتماعية، حيث وفّرت بيئة روحية تقوم على الذكر، والتزكية، والتربية النفسية، إضافة إلى دعم الفقراء والمحتاجين، والمشاركة في إصلاح المجتمع. وفي هذا المبحث، سيتم تناول الدور الذي قامت به الطرق الصوفية في مختلف جوانب الحياة، مع إبراز الأثر الذي تركته في بناء الهوية الثقافية والدينية للعصر الذي انتشرت فيه، وفيما يلي نعرض أبرز أدوارها:

### 1- نشر القيم الأخلاقية والروحية وتأثيرها على المجتمع:

ساهمت الطرق الصوفية بشكل كبير في نشر قيم الزهد، الورع، والتقوى بين عامة الناس في العصر المملوكي، ففي ظل الأوضاع السياسية والاجتماعية التي شهدها هذا العصر، والتي كانت تتسم في بعض الأحيان بالاضطراب والفساد، وفر التصوف ملاذًا روحيًا للعديد من الأفراد، وربطهم بالخالق بعيدًا عن مظاهر الانحلال. وبالتالي، كان لهذا الدور الروحي والأخلاقي له تأثير عميق على حياة الناس اليومية، حيث شجع على التخفف من ملذات الدنيا والتركيز على العبادة وتهذيب النفس.[1] وقد استغل بعض الحكام المماليك هذا التوجه الشعبي نحو الزهد لدعم سلطتهم، حيث تحول بعض الصوفيين من رمز للمعارضة إلى دعم السلطة الحاكمة.[2]

---

[1]- محمد صبري الدالي، التصوف وأيامه دور المتصوفة في تاريخ مصر الحديث، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2012م، ص 52

[2] -مقال حول "الزُّهد في خدمة المُلْك.. كيف تحوَّلت الصوفية إلى دعم الاستبداد؟" *الجزيرة نت*، تم نشره في 6 سبتمبر 2022، متاح على الموقع: https://www.aljazeera.net/blogs، تم الإطلاع عليه يم 12-06-2025 على الساعة 15:00

شهدت الحياة الدينية في مصر خلال القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي نشاطًا ملحوظًا ونموًا كبيرًا على مختلف المستويات، فقد كانت مظاهر التدين والحياة الروحية تتغلغل بعمق في وجدان الناس عبر الطبقات الاجتماعية كافة، حيث كان الدين يشكل الإطار الأساسي الذي تنظّم من خلاله العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية. اتساع رقعة التأثير الديني شمل المساجد، والطرق الصوفية، والمؤسسات الدينية، حيث أضحى الدين ظاهرة شاملة مرتبطة بحياة الفرد والمجتمع، ليس فقط كعقيدة وعبادة، بل كنمط حياة متكامل ينعكس في كل تصرف وسلوك. وكان هذا التغلغل للحياة الدينية مرتبطًا بالسياق العام الذي شهدته مصر من تحولات سياسية متلاحقة، واجتماعية عميقة، واقتصادية واجهت تحديات كبيرة، إلا أن الروح الدينية كانت بمثابة المحفز والدافع الذي بفضل غزارته تمكن المجتمع من الصمود واستعادة دوره العلمي والثقافي بعد فترة من الانكسار والتراجع.[1]

فقد كان القرن السابع هجري/ الثالث عشر ميلادي بحق عصر التصوف في مصر حيث ازدهرت فيه الطرق الصوفية وبرز فيه عدد كبير من المتصوفين، وإذا قمنا بإحصاء أسماء المتصوفة الذين عاشوا في مصر خلال هذا القرن، لوجدنا أن هذا العصر يختلف عن غيره من العصور بكثرة عددهم. ومن اللافت أن معظم كبار المتصوفين في مصر خلال هذه الفترة كانوا من أصول مغربية، وهو ما يتضح من أسماء رجال التصوف الذين ظهروا في البلاد آنذاك.[2]

[1] – عبد اللطيف حمزة، تاريخ مصر في العصر المملوكي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص 112–115

[2] –عامر النجار، المرجع السابق، ص 95.

## 2. الدور التعليمي والتربوي للزوايا والخوانق:

شهد العصر المملوكي ازديادًا ملحوظًا في انخراط المجتمع في التصوف، مما أدى إلى تداخل واضح بين التعليم النظامي في المدارس وأساليب التربية الصوفية ومناهجها التي كانت تُلقن في الزوايا والخوانق.[1] كانت الزوايا والخوانق مؤسسات هامة في المجتمع المملوكي، حيث كانت تُقام خصيصًا للصوفيين، بعضها كان رسميًا ويُدعم من قبل السلاطين والأمراء (كالخوانق)، وبعضها الآخر كان أصغر وأقل رسمية (كالزوايا). هذه المؤسسات لم تكن مجرد أماكن للعبادة والذكر، بل لعبت دورًا تعليميًا وتربويًا بارزًا، حيث كانت تُقدم دروسًا في العلوم الدينية واللغوية والفلسفية.[2] وقد تجلى هذا التداخل في الوصايا التي كانت تُوجه للطلاب، حيث كان يُطلب منهم تحمل مشقة طلب العلم والسعي لتزكية أنفسهم وتطهير قلوبهم من الصفات الذميمة، انطلاقًا من اعتبار العلم عبادة قلبية وطهارة باطنية.[3]

وكان من الواجب على الطالب أن يسلّم أمره لشيخه، ويستشيره في شؤونه، ويحافظ على احترامه، بل ويجعل خدمته وسيلة للتقرب إلى الله، وقد وصل الأمر ببعض الطلبة إلى التبرك بأسماء شيوخهم.[4]

ومن هنا، تداخلت مفاهيم التعليم والتصوف، فأصبح القائم على التدريس في الكتاب غالبًا فقيهًا متصوفًا، وتحولت المدرسة إلى فضاء مزدوج يجمع بين العبادة والدراسة، كما كان الحال في المساجد قبل إنشاء المدارس النظامية، ولم تكن المدرسة تختلف كثيرًا عن المسجد، إلا بضمّها لمساكن الطلبة والمدرّسين، مما جعلها أقرب في طبيعتها إلى الخانقاه، بل كانت في بعض الحالات خانقاة بالفعل، حيث كان الطلبة هم أنفسهم من مريدي الطرق الصوفية

[1] – محمد صبري الدالي، المرجع السابق، ص 53.

[2] – منصور أحمد صبحي، مقال حول"أهم المؤسسات الصوفية في مصر المملوكية : الخوانق والزوايا، " *الحوار المتمدن*، تم نشره يوم 22 يوليو 2015. متاح على: https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=475713، تم الإطلاع عليه يوم: 13-06-2025 على الساعة 14:30

[3] –محمد صبري الدالي، المرجع السابق، ص 53.

[4]– عبد الغني محمود عبد العاطي، التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، دار المعارف، القاهرة، 1984م، ص 289.

المقيمين بها ،وقد عكست شروط الوقف التي اشترطها بعض الواقفين هذا التوجه، إذ اشترطوا في المدرّس أن يكون عالِمًا صالحًا، متقنًا لطريق الصوفية، سليم العقيدة، حافظًا لأقوال الفقهاء، عارفًا بأقوال العلماء، ومتمكنًا من نصوص الإمام الشافعي ومن تبعه من الصحابة والعلماء[1].

كما فرض التصوف نفسه كمادة أساسية في مناهج التعليم، وتحولت المؤسسات الصوفية إلى مراكز للعلم، مما أدى إلى انتشار التصوف بين العلماء وتراجع مستواهم الفكري، بل وُوجه المجتهدون منهم بالملاحقة والتضييق، كما حدث مع ابن تيمية وأتباعه. وفي الوقت ذاته، تزايدت مظاهر تقديس الأولياء من العوام، حتى أصبح ذلك التقديس ظاهرة بارزة في الحياة الدينية آنذاك.[2]

### 3. الدور الاجتماعي والاقتصادي للمؤسسات الصوفية:

لم يقتصر دور الطرق الصوفية على الجانب الروحي والتعليمي، بل امتد ليشمل جوانب اجتماعية واقتصادية هامة. فالمؤسسات الصوفية، مثل الخوانق والزوايا، كانت تعتمد بشكل كبير على الأوقاف لتمويل أنشطتها. إضافة إلى ذلك، كانت هذه الأوقاف توفر الدعم المالي اللازم للمتصوفين والطلاب، وتساهم في استمرارية الأنشطة التعليمية والخدماتية التي تقدمها هذه المؤسسات،[3] كما أدت الصوفية في بعض المناطق، كالهند إبان عصر المماليك، دورًا مهمًا في النشاطين الاقتصادي والديني، مما عزز مكانتهم الدينية والاجتماعية والثقافية وحتى التجارية.[3]

---

[1] ـ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، دار الصادر، بيروت، (د ت )، ص 47.

[2] – أحمد صبحي منصور، العقائد الدينية في مصر المملوكية بين الاسلام والتصوف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2000م، ص 39.

[3]– مقال حول "الأوقاف الإسلامية وأثرها على النهضة العلمية في عصر المماليك"، متوفر على الموقع https://www.google.com/search?q=Waqef.com.sa ، تم الإطلاع عليه يوم: 13-06-2025 على الساعة 17:00.

[3]–العنزي جابر سالم، "النشاط الاقتصادي للصوفية في بلاد الهند إبان عصر المماليك (602-689 هـ/ 1206- 1290م)، *"المجلة العلمية لكلية الآداب-جامعة أسيوط*. المجلد 31، العدد 89 ، يناير 2024، ص 159.

وقد تأثرت حركة التصوف في مصر خلال العصر المملوكي بالتغيرات التي شهدها المجتمع، مما أدى إلى تطورات كبيرة في هذا المجال، ومن أبرز تلك التطورات الزيادة الملحوظة في عدد بيوت المتصوفة، التي انتشرت بشكل غير مسبوق على هيئة خانقاهات وربط وزوايا ومساجد، حيث تولى السلاطين والأمراء ومشايخ الصوفية بناء الخانقاهات في عهد المماليك البحرية، فإن سلاطين المماليك الجراكسة هم الذين تولوا عمارتها في العصر التالي، مع تخصيص أوقاف لدعمها. كما شهدت الخانقاهات أيضاً تنظيمًا داخليًا أكثر دقة، تمثل في وضع شروط واضحة لرئاستها وإدارة شؤونها، وضبط حياة المتصوفة فيها بما يضمن التزامهم بالإقامة وعدم التغيب، كما نُظمت القواعد المتعلقة بالعبادات، والإقامة، وتقسيم المهام الدينية والتعليمية، وتنظيم الرحلات الدينية كالحج وزيارة القدس، وزيارات الأقارب والمرضى، بالإضافة إلى قواعد خاصة بالأعياد وصيانة المباني. [1]

ومن مظاهر هذا التطور، ظهور "الخلاوي" داخل الخانقاهات، وبناء مساجد مجاورة لها تُقام فيها صلاة الجمعة، وبهذا أصبحت الخانقاه مؤسسة صوفية شاملة ذات وظائف متعددة، إلى جانب دورها الديني والتعليمي، إذ قدمت أيضاً خدمات اجتماعية، شملت توفير المأكل والملبس والمسكن والرعاية الصحية للمقيمين بها، من خلال تجهيزات معمارية خاصة وموظفين لتقديم تلك الخدما ورغم هذه التطورات، فإن تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية في أواخر العصر المملوكي ترك أثرًا سلبيًا على مؤسسات التصوف، وخاصة الخانقاهات، حيث تزايد عدد الوافدين إليها بشكل يفوق قدرتها الاستيعابية، وعلى الرغم من الأرزاق التي كانت تردها، فإن المجاعات والأوبئة والفقر العام زادت من الأعباء الواقعة عليها. [2]

وقد استخدم الرباط في بعض الأحيان كمسجد تقام فيه الصلاة ، مثل رباط الأقوم، أما الزوايا فزادت أعدادها بصورة كبيرة، ومن زوايا هذه الفترة زاوية الشيخ خضر ، وزاوية الجميزة ، وزاوية الجعبري ، وزاوية ابن منظور ، وزاوية الظاهري ، وزاوية الدمياطي ، وزاوية عز الدين

[1] –محمد صبري الدالي، المرجع السابق، ص 54.

[2] – المرجع نفسه، ص 54.

يوسف ، وزاوية نصر ، وزاوية الحفصي ، وزاوية إبراهيم الصائغ ، وزاوية تقي الدين[1]، وقد انقسمت الزوايا من حيث منشئيها إلى نوعين : الزاوية التقليدية المقامة بواسطة شيخ معين وبأمواله الشخصية ، والزاوية المقامة عن طريق هبة من أحد رجال الطبقة الحاكمة ، وتلك كانت تؤسس لهدف معين. [2]

أما من حيث ساكنيها فهناك الزاوية الفردية التي تحمل أسماء ساكنيها أو منشئيها ، كزاوية الشيخ خضر، وهناك الزاوية الجماعية التي سكنتها مجموعة من المتصوفة مع أن هذا يعني خروجاً عن الطابع الانفرادي للزاوية ، وهناك من الزوايا ما أنشئ لشيخ واحد ، ثم التف حوله المريدون ليأخذوا العهد على يديه ، فأصبحت الزاوية مقراً للشيخ المنقطع للعبادة من ناحية ، ومقراً لبعض مريديه من ناحية أخرى ، وبالتالي أصبحت مثلها مثل الخانقاة والرباط، وبمتابعة تطور الزاوية في العصر المملوكي وخاصة الجركسي نجد أنها تطورت من مكان للعبادة ، إلى مأوى لغير القادرين على الكسب ، والهاربين من قسوة الحياة من الفقراء والمساكين والغرباء [3]

وكان هذا التطور في وظائف الزوايا جزءًا من نهضة شاملة عاشتها مصر، خاصة في القاهرة، التي أصبحت مركزًا للاشعاع والنور والثقافة في كل أنحاء العالم الاسلامي ورغم كثرة المظالم وفداحة المكوس فان مصر نهضت نهضة علمية مباركة، وكان دافعها الأول غيرة العلماء وحرصهم على اعادة مجد الاسلام الذي بعثرته أيدي التتار ثم معاضدة الملوك والأمراء لرجال العلم وأهله. [4]

---

[1] – المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)، تح: خليل عمر، دار صادر، بيروت، ج2، 1271هـ، ص 430– 436 ،علي مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1983م، ج2، ص 68.

[2] – محمد صبري الدالي، المرجع السابق، ص 55.

[3] – نجم الدين محمد بن محمد الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تح: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج1، ص 251.

[4]– عامر النجار، المرجع السابق، ص 94.

**أ / رعاية الفقراء :**

كما أدى رجال الصوفية أدوار اجتماعية مختلفة فقد كان شيخ الشيوخ يشرف على الخوانق والفقراء ويقدم العناية لهم وما تحتاجه الخوانق، كما كان يحث على اتباع سنة الرسول في جميع أعماله، وكان يستقبل الوفود التي ترده من السلطان ويقوم باكرامهم وتنفيذ مطالبهم، وأن يستقبل كل مسافر ويساعده بما يحتاج.[1]

لعبت الزوايا الصوفية في العصر المملوكي أدوارًا متعددة تجاوزت البعد الديني، إذ اضطلع بعض مشايخها بمهمة حماية الفئات الضعيفة في المجتمع، مثل الأحباش والأعاجم، وهم من الفقراء والمساكين والغرباء، من ظلم السلطات وتعسفها. ولم تقتصر وظيفة الزوايا على الجانب الروحي، بل قامت بدور فكري وتعليمي، حيث قدمت دروسًا دينية لسكانها وزائريها. كما اتخذت بعض الزوايا طابعًا مركبًا، فجمعت بين وظائف متعددة مثل كونها زاوية ومسجدًا في آن واحد، أو زاوية ورباطًا، وغالبًا ما كانت تتمتع بدرجة من الاستقلال عن السلطة السياسية. وقد ارتبط تصاعد نفوذ الزوايا ومكانة مشايخها بتفاقم الأزمات الاجتماعية، وعلى رأسها الظلم الناتج عن سوء إدارة الدولة للمال العام، واتساع الفجوة بين عامة الشعب والحكام المنغمسين في صراعاتهم الخاصة. وكان غياب التمثيل السياسي للطبقات الشعبية عاملاً إضافيًا ساهم في تعزيز دور الزوايا كملاذ للناس ومعبّر عن مطالبهم في ظل انعدام قنوات المشاركة الرسمية. [2]

**ب/ظهور طوائف اجتماعية جديدة:**

[1] – عودة رافع شرعة، المجتمع الشامي في العصر المملوكي، 648–923 م ، دار الناشرون ، مصر، 2019م، ص 253.

[2] –محمد صبري الدالي، المرجع السابق، ص 55.

كما شهد التصوف آنذاك وجود بعض الطوائف التي لم تكن موجودة في مصر قبل العصر المماليكي، ونقصد بها طائفة القلندرية[1] وطائفة الملامتية[2] .

لقد كان بالقاهرة زاوية للقلندرية أنشأها الشيخ حسن الجوالقي القلندري "الأعجمي" في فترة سلطنة كتبغا ، الذي قربه إليه وصحبه معه في أسفاره، مما وطد مكانته عند الأمراء، وقد استمرت هذه الزاوية منزلاً لطائفة القلندرية في مصر، وكان لهم بها شيخ وعدد موفور.[3]

أما الملامتية فوجد بعضهم في مصر آنذاك، ومنهم بركات الخياط، ونصر المجذوب " الذي كان شيخاً ملامتياً عرياناً دائماً، ليس عليه إلا سراويل من جلد وطرطور من جلد، محلوق اللحية، يشتم السلطان فمن دونه، ويحتمله الناس، والحقيقة أن ظهور القلندرية والملامتية وحصولهم على نوع من القبول في مصر آنذاك إنما يعود أيضاً إلى الأعداد الكبيرة من المتصوفة الأعاجم الذين وفدوا إلى مصر في ذلك الوقت وشكلوا أحد خصائص التصوف المصري. لقد عاش في مصر العديد من المتصوفة الأعاجم، ومنهم الشيخ مبارك الهندي الحلاوي صاحب زاوية الحلاوي، والشيخ تقي الدين رجب بن أشيرك العجمي الذي كان له زاوية أنشأها له الناصر محمد بن قلاوون، والشيخ إبراهيم الصائغ العجمي الذي عمر له الأمير سيف الدين طغاي زاوية، وكان معروفاً بصناعة الموسيقى وله نغمة لذيذة، وصوت مطرب، وغناء جيد[4].

---

[1] – القلندرية: طائفة تنتمي إلى الصوفية، وتارة تسمي نفسها ملاتمية، والقلندرية قوم طرحوا التقيد بآداب المجالسات والمخاطبات، وقلت أعمالهم من الصوم والصلاة إلا الفرائض، ولم يبالوا بشيء من لذات الدنيا. انظر: قاسم غني، تاريخ التصوف في الاسلام، تر: صادق نشأت، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1970م، ج 2، ص 624ـ 625.

[2] – الملامتية: فرقة صوفية ظهرت في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري بمدينة نيسابور بخرسان، وتعرف بالملاتية أو الملامية، وقد كان لهم مسلكا في الزهد، بالإضافة إلى مجموعة من الآداب بقصد مجاهدة النفس ورياضتها بهدف انكار الذات، ومحو علامات الغرور الإنساني. أنظر: أبو العلا عفيفي، رسالة الملامتية، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، مج6، ج1، 1942م، ص 1953.

[3] –عبد المتعال الصعيدي، المجددون في الاسلام من القرن الأول الى القرن الرابع عشر، مكتبة المهتدين، مصر، 1996م، ص 263.

[4] ـ المقريزي، المصدر السابق، ج2، ص 432ـ 434.

ومن الواضح أن للمماليك دورًا كبيرًا في زيادة الحضور الأعجمي في المجتمع المصري، لا سيما في المجال الصوفي، إذ إن معظم المماليك كانوا من أصول أعجمية، ينتمون إلى بلاد آسيا الوسطى والقوقاز وغيرها من المناطق غير العربية. وقد وجد سلاطين وأمراء المماليك في كثير من هؤلاء الأعاجم حلفاء ومؤيدين لحكمهم، مما أسهم في تعزيز هذا الوجود داخل مصر. وفي هذا السياق تتجلى مرة أخرى طبيعة العلاقة التعاونية بين المماليك والمتصوفة، حيث شكّل التصوف أحد أدوات التوازن بين السلطة السياسية والبنية الاجتماعية[1].

إنّ هذا الوجود الأعجمي في التصوف المصري يدفعنا إلى التوقف عند ظاهرة "الدروشة"[2] و"الجذب"، وهي من أبرز الظواهر التي انتشرت في ذلك العصر، وتمثل نموذجًا لما يُعرف بالتصوف الشعبي. فقد اتّسمت هذه الظاهرة بمظاهر غريبة عن التصوف العلمي والنسكي، لكنها كانت أكثر تأثيرًا في عامة الناس، إذ جذبت الجماهير من مختلف الفئات الاجتماعية. وفي هذا السياق، ترك الحكّام الصوفيين يعملون بحرية داخل المجتمع، ضمن مجالين متوازيين: التصوف الشعبي الذي استقطب العوام والبسطاء، والتصوف المنظّم الذي استرعى اهتمام العلماء والفقهاء، في سياق البحث عن التأثير الديني والاجتماعي، وربما تحقيق بعض الأهداف الأمنية والسياسية[3]

وقد كانت رحلات المتصوفة بين مصر وبلاد الأعاجم أمرًا شائعًا آنذاك، ومن أبرز الأمثلة على ذلك رحلة ركن الدين الملطي، شيخ الشيوخ في خانقاة سرياقوس، الذي سافر إلى الهند ومكث فيها نحو إحدى عشرة سنة. كما تؤكد سجلات التاريخ الصوفي أن مشيخة الشيوخ في الخانقاة الصلاحية والخانقاة السرياقوسية كانت في كثير من الأحيان تُسند إلى شيوخ من

---

[1] . محمد صبري الدالي، المرجع السابق، ص 78.

[2] . اختلفت الآراء في اشتقاق لفظ درويش، فمنها ما يرجعه الى أنه مشتق من الدراشة، ومنها اشتقاق الدرويش، بمعنى الفقير الشحاذ–السائل، ومنها م ايجعله درويش المأخوذ من دربوزه، وتعني التسول والمسكنة. انظر: محمد قنديل البقلي، أدب درويش، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1970م، ص 4. 5.

[3] المقريزي، كتابة السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: سعيد عبد الفاتح عاشور، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2007م، ج3، ص 339، 359.

أصول أعجمية، مما يدل على المكانة التي بلغها هؤلاء داخل البنية الصوفية الرسمية، ويُبرهن على عمق التفاعل بين التصوف المصري والتجربة الأعجمية[1].

**ج/ الوساطة بين العامة والسلطة:**

كما قاموا بدور الوسيط في حل النزاعات والخلافات بين الأفراد والعائلات، التي كثيرًا ما كانت تلجأ إليهم للقيام بدور المصلحين.[2]

وقد أثر التصوف على المشهد العمراني في مصر حيث لا تزال العمارة المملوكية التي تزين القاهرة حتى يومنا هذا شاهداً حياً على المكانة الرفيعة التي بلغها التصوف وأشياخه في نفوس المماليك، رغم ما عُرف عنهم من شدة وقسوة، فقد كانت تلك العمارة المذهلة، التي تُعد من أروع نماذج الفن المعماري، مكرسة بالكامل لخدمة التصوف ونشاطاته الدينية والعملي، أما الحياة الفكرية والعقلية في العصر المملوكي، فكانت انعكاسًا لتأثير التصوف العميق، إذ انحصرت الحركة العلمية في الشرح والتلخيص والنظم، ثم إعادة شرح هذه المتون وتلخيصها، من دون تجديد أو ابتكار. [3]

وتطورت بيوت الصوفية ومهامها في مصر في العصر المملوكي، ورغم اهتمام السلاطين ببيوت الصوفية، فإن التدهور الاقتصادي منذ أواخر الهجري/القرن الخامس عشر الميلادي انعكس على تلك البيوت بأنواعها وعلى المتصوفة، فبدأ الحكام يُضيقون على مواردهم المادية[4].

كما ظهرت في هذه المرحلة طرقٌ صوفية جديدة لاقت رواجًا واسعًا بين عامة الناس، من أبرزها الطريقة البرهامية، التي تُنسب إلى الشيخ إبراهيم الدسوقي (ت 676هـ/1277م)، والطريقة الشاذلية التي أسسها أبو الحسن الشاذلي (ت 656هـ/1258م). وبعد وفاة الشاذلي،

---

[1] –عبد الرحمن أبو راس، شيخ الشيوخ بالديار المصرية في الدولتين الأيوبية والمملوكية، مكتبة عالم الفكر، القاهرة، 1987م، ص 55– 88.

[2] –محمد صبري الدالي، المرجع السابق، ص 55.

[3]. أحمد صبحي منصور، المرجع السابق، ص 39.

[4] –المقريزي، المرجع السابق، ص 422.

واصل نشر تعاليمها أبو العباس المرسي (ت 686هـ/1287م)، الذي كان من أبرز خلفائه، ثم جاء من بعده ابن عطاء الله السكندري (ت 709هـ/1309م)، فكان له دور محوري في تنظيم الطريقة وتقعيد أصولها الفكرية والسلوكية، حتى أصبحت إحدى أكثر الطرق تأثيرًا في الحياة الدينية بمصر خلال هذه الفترة[1].

تعاظم نفوذ التصوف حتى أصبح مكوّنًا رئيسًا في العصر المملوكي، مؤثّرًا بعمق في الحياة السياسية والحضارية والدينية، بل والأخلاقية أيضًا. ومن المهم التنبيه إلى ضرورة التمييز بين التصوف كمذهب روحي وتربوي، وبين الصوفية كأشخاص ينتمون إليه ويمثّلونه في الواقع. فالتصوف في جوهره اجتهاد بشري في فهم مقاصد الدين والسلوك إليه، وبالتالي فإن ممارسات الصوفية تعكس اجتهاداتهم الشخصية، وقد تصيب وقد تخطئ. ومن هنا فإن النقد الموجّه إلى بعض ممارسات الصوفية لا يعني بالضرورة إدانة مبدأ التصوف ذاته، كما أن الإسلام – باعتباره شريعة منزلة من عند الله – لا يُحمّل أخطاء أتباعه. فالمسلمون محاسبون على أفعالهم، وهم مطالبون بالسير على هدي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهّرة، فإن أصابوا فلهم أجر، وإن أخطؤوا فعليهم وزر. ويأتي هذا التوضيح لرفع اللبس بين الإسلام كدين سماوي والمسلمين كأفراد، وبين التصوف كمذهب سلوكي والصوفية كجماعة بشرية[2].

وقد مثّل القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي في مصر مرحلة من الاضطراب والانحدار السياسي والاجتماعي والاقتصادي في كثير من فتراته، غير أنه كان أيضًا عصرًا شهد انتشارًا واسعًا للطرق الصوفية. ففيه ظهرت كبرى الطرق التي تركت أثرًا بالغًا في الحياة الدينية، مثل الطريقة البدوية، والشاذلية، والدسوقية، كما شهد هذا القرن ازدهارًا ملحوظًا للطريقتين الرفاعية والقادرية، حيث تعمّق تأثير التصوف في المجتمع المصري.[3]

[1] ـ أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني،المرجع السابق ، ص 62– 63.

[2] ـ أحمد صبحي منصور، المرجع السابق، ص 41.

[3]–عامر النجار، المرجع السابق، ص 98ـ 99.

وإذا نظرنا إلى المسار العام لتطور التصوف، فإن النضج التدريجي الذي بلغه يمكن تتبّعه بوضوح منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وصولًا إلى قرون لاحقة، مما يعكس أن الحضارة الإسلامية وتطور التصوف سارا جنبًا إلى جنب، كلٌ منهما يعزّز الآخر، في بنية متكاملة من التأثير والتأثر.

**4-الدور السياسي:**

أ- **التحالف مع السلطة:** سعى بعض السلاطين المماليك إلى كسب دعم المتصوفة لما لهم من تأثير شعبي، فقاموا برعاية الزوايا ودعم الشيوخ.

حيث كان للطرق الصوفية علاقة وثيقة بالدولة، حيث كانت محل احترام وتقدير لدى السلاطين، مما ساهم في تعزيز مكانتهم الاجتماعية والسياسية، وقد تحرر الجانب الديني وتوسعت دائرته، وقوي نفوذه واشتد عود النشاط الصوفي المواكب لتعاليمه، ولاقى العناية والتشجيع ما جعل الاقبال عليه يتزايد باستمرار، لذلك فإننا لا نستغرب سيطرة بعض شيوخه على حكام المماليك أنفسهم، ومثال ذلك ما وصلت إليه منزلة الشيخ خضر[1] عند الملك الطاهر،[2] وما بلغه الشيخ نصر المنبجي من مكانة [3]عند بيبرس الجاشنكير.[4]

---

[1]. **الشيخ خضر** : الشيخ خضر بن أبي بكر المهراني العدوي شيخ الملك الظاهر بيبرس، كان حظيا عنده مكرما لديه، له عنده المكانة الرفيعة، كان السلطان ينزل بنفسه إلى زاويته التي بناها له في الحسينية ، في كل أسبوع مرة أو مرتين، وبنى له عندها جامعا يخطب فيه للجمعة، وكان يعطيه مالا كثيرا، ويطلق له ما أراد، ووقف على زاويته شيئا كثيرا جدا، وكان معظما عند الخاص والعام بسبب حب السلطان وتعظيمه له، وكان يمازحه إذا جلس عنده، وكان فيه خير ودين وصلاح، وقد كاشف السلطان بأشياء كثيرة، وقد دخل مرة كنيسة القمامة بالمقدس فذبح قسيسها بيده، ووهب ما فيها لأصحابه، وكذلك فعل بالكنيسة التي بالإسكندرية وهي من أعظم كنائسهم، نهبها وحولها مسجدا ومدرسة أنفق عليها أموالا كثيرة من بيت المال، وسماها المدرسة الخضراء، وكذلك فعل بكنيسة اليهود بدمشق، دخلها ونهب ما فيها من الآلات والأمتعة، ومد فيها سماطا، واتخذها مسجدا مدة ثم سعوا إليه في ردها إليهم وإبقائها عليهم، ثم اتفق في هذه السنة أنه وقعت منه أشياء أنكرت عليه وحوقق عليها عند السلطان الملك الظاهر فظهر له منه ما أوجب سجنه، ثم أمر بإعدامه وهلاكه وكانت وفاته في هذه السنة، ودفن بزاويته سامحه الله، وقد كان السلطان يحبه محبة عظيمة حتى إنه سمى بعض أولاده خضرا موافقة لاسمه، وإليه تنسب القبة التي على الجبل غربي الربوة التي يقال لها قبة الشيخ خضر، ينظر : المقريزي، المصدر السابق، ص 430.

[2]- **الشيخ نصر المنبجي:** هو نصر بن خضر بن سنان المنبجي. وُلد في منبج بسوريا، وكان شيخًا صوفيًا جليل القدر، يُعرف بورعه وعلمه. بلغت مكانته أوجها عند **بيبرس الجاشنكير**، وهو السلطان المملوكي **المظفر بيبرس الجاشنكير المنصوري** (حكم من 1309 إلى 1310 م). يُذكر أن بيبرس الجاشنكير كان شديد الإجلال والتقدير للشيخ نصر المنبجي، حتى أنه كان

ففي العهد المملوكي كان هناك مشيخة للشيوخ في بلاد الشام وأخرى في مصر، وأحيانا كانت مشيخة الشيوخ في بلاد الشام تتبع لشيخ الشيوخ في مصر، فالسلطان الناصر محمد قلاوون[1] أصدر مرسوماً بتقليد الشيخ نظام الدين الأصفهاني[2] (ت 783 هـ / 1381م) مشيخة الشيوخ في مصر، وبلاد الشام فقد خوله المرسوم الإشراف على مواريث الصوفية وأوقافهم بحيث ( لا يكون لأمين ولا يكون لأحد من الحكام ولا من جهة الحكم ولا لديوان المواريث معه في ذلك حديث)، وأحيانًا لم يكن منصب شيخ الشيوخ في مصر يُسند إلى أحد أبنائها، بل كان يُعهد به إلى شخصيات وافدة من خارج البلاد، كبلاد الشام مثلًا، دون أن يكون ذلك خاضعًا

---

يزوره في زاويته ويتبرك به . تُشير الروايات إلى أن الشيخ نصر كان له دور كبير في التأثير على السلطان، وكان يُعد من المقربين إليه والمستشارين الروحيين له، مما يعكس استمرار نفوذ الشيوخ الصوفية في العصر المملوكي اللاحق. ينظر المقريزي، المصدر السابق، ص 500.

[3]– علي حيدر، أثر سياسة الدولة المملوكية في شيوع التصوف، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، مج12، العدد1، جامعة تشرين، 1990م، ص 133.

[4]– **بيبرس الجاشنكير:** هو السلطان المملوكي **المظفر بيبرس الجاشنكير المنصوري.** يُعرف بكونه أحد سلاطين الدولة المملوكية البحرية، وقد حكم مصر والشام لفترة وجيزة خلال الفترة من **708 هـ إلى 709 هـ (1309 إلى 1310 م)** [1]. وقبل توليه السلطنة، كان بيبرس الجاشنكير من كبار الأمراء المماليك، ويُعرف بلقب "الجاشنكير" الذي يعني "متذوق الطعام"، وهي وظيفة مهمة في البلاط المملوكي كان يشغلها قبل وصوله إلى الحكم. وقد وصل إلى السلطة في فترة اتسمت بالصراعات الداخلية بين الأمراء المماليك، وتحديدًا بعد خلع السلطان الناصر محمد بن قلاوون من حكمه الأول. إلا أن فترة حكمه لم تدم طويلاً، حيث استعاد الناصر محمد بن قلاوون سلطته بعد فترة وجيزة. انظر: ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1970، ج 8، ص 225–226. علي حيدر، المرجع السابق، ص 133.

[1]– **محمد قلاوون:**هو في الحقيقة **المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي النجمي،** وهو سابع سلاطين الدولة المملوكية البحرية، ويُعد من أبرز وأقوى سلاطين المماليك الذين حكموا مصر والشام. يُعرف اختصارًا بـ "قلاوون"، تولى السلطنة عام **678 هـ /1279 م** بعد فترة من الاضطرابات التي تلت وفاة ابنه الملك السعيد بركة خان، واستمر حكمه القوي حتى وفاته عام **689 هـ (1290 م).** انظر: المقريزي، *المصدر السابق* 2، ص 125–127.

[2]– الشيخ **نظام الدين الأصفهاني:** هو نظام الدين محمود بن عمر الأصفهاني ، يُعد من كبار علماء وشيوخ الصوفية في القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي كان فقيهًا شافعيًا، متصوفًا، ومحدثًا، واشتهر بزهده وورعه وعلمه الغزير كما عُرف بكونه من الشخصيات المؤثرة في عصره، خاصة في بلاد فارس وما حولها، حيث كانت له زاوية يرتادها الطلاب والمريدون لأخذ العلم والتصوف عنه، ويُشير بعض المؤرخين إلى دوره في نشر الفكر الصوفي والعلم الشرعي في أصفهان وغيرها من المدن الإيرانية. وكان نظام الدين الأصفهاني ذا مكانة علمية وروحية رفيعة، وتُذكر له مؤلفات في الفقه والتصوف، لكن غالبها لم يصل إلينا بشكل كامل. وقد أثنى عليه كثير من معاصريه وتلاميذه لعلمه وتقواه. ينظر: الزركلي، خير الدين. *الأعلام*. الجزء السابع. دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ص 175

لسلطة الحسبة أو القضاء. ومن الأمثلة على ذلك: تولي شرف الدين أبو بكر بن محمد الجويني (ت 678هـ/1279م) لهذا المنصب، رغم كونه شامياً الأصل. [1]

ب- **شرعنة الحكم:** استخدمت السلطة الطرق الصوفية لإضفاء الشرعية على حكمها في أعين العامة من خلال دعم الرموز الدينية، فقد كان أهل التصوف ينعمون بمعاملة خاصة من سلاطين المماليك وزوجاتهم وأمرائهم، وكانت العلاقات بينهم متنوعة وغنية، خاصة مع المعتدلين في تصوفهم وعلاقاتهم مع السلطة، والمشجعين والمؤازرين لها في سياساتها المختلفة، لقد كانت علاقاتهم نفعية فالمماليك في حاجة إلى المتصوفة لمكانتهم الدينية الصوفية لدى المصريين ، ولحاجتهم إليهم أيضاً في إضفاء طابع المشروعية والرضا على حكمهم.

بينما كان المتصوفة في حاجة إلى السلاطين لإمدادهم بما يحتاجون إليه وما تحتاج إليه بيوتاتهم الصوفية، كما أن هؤلاء المتصوفة كانوا قد أصبحوا يمثلون – إذا صح القول – فئة: محمد صبري الدالي اجتماعية لها مصالحها التي تحتاج إلى دعم من الحكام، يبدو أيضاً أن الموقف تأثر بطبيعة تكوين المماليك العسكرية وحياتهم المليئة بالصراعات الدموية، وبحكم أن معرفتهم بتعاليم الإسلام كانت بسيطة، لقد أدى ذلك بهم أيضاً إلى الاهتمام بإحياء المناسبات الدينية بإقراء القرآن على نفقتهم، وتوزيع الصدقات، والاعتقاد في الأولياء وكراماتهم التي كانت تحاك باقتدار من قبل المتصوفة وأعوانهم، وهكذا زاد مع الأيام نفوذ المتصوفة عند سلاطين المماليك لأسباب مختلفة، واشتدت مع تلك الزيادة العلاقة النفعية المتبادلة بين الطرفين[2].

**ج- الدفاع عن الدولة:**

أما الربط فزاد عددها في مصر في العصر المملوكي وتعددت أنواعها، فمنها ما اختص بالدفاع عن البلاد، وكانت تلك مهمة ذات صبغة عسكرية تطلبت إقامة الحاميات وتزويد الرباط بكل ما يلزمه، وقد بقي هذا النمط من الربط بالمدن الساحلية حتى أواخر العصر المملوكي،

[1] ـ محمد صبري الدالي، المرجع السابق، ص 50.

[2] ـ محمد صبري الدالي، المرجع نفسه، ص 51.

وهناك ربط خصصت للضيافة واستقبال الوافدين الغرباء، وهناك ربط أخرى ألحقت بالخانقاة كرباط برسباي الذي الحق بخانقاته بالتربيعة .[1]

## المبحث الثاني: أهمية الطرق الصوفية:

تكتسب الطرق الصوفية أهميتها من الدور العميق الذي أدّته في الحياة الروحية والفكرية والاجتماعية للمجتمع الإسلامي، فقد كانت هذه الطرق بمثابة مدارس للتزكية والسلوك، عملت على تهذيب النفوس وربط الإنسان بالله من خلال منهج قائم على المحبة والصفاء الروحي. كما ساهمت في نشر العلم والمعرفة، ووفّرت إطارًا جماعيًا للتربية الأخلاقية والتكافل الاجتماعي. وعليه، تجلّت أهمية الطرق الصوفية أيضًا في قدرتها على التكيف مع مختلف الظروف السياسية والاجتماعية، ما جعلها مؤثرة في توجيه الرأي العام والحفاظ على التوازن المجتمعي. وفي هذا المبحث، سيتم تسليط الضوء على أوجه هذه الأهمية، وبيان أثرها في صقل الشخصية الإسلامية وتنمية القيم الروحية.

أصبحت مصر وبلاد الشام من المراكز الفكرية المهمة في العصر المملوكي، خاصة بعد انتقال مراكز العلم من بغداد وفارس، مما جعل هذا العصر مزدهرًا من الناحية العلمية، وقد تميز المجتمع المملوكي بتعدّد الأديان، حيث انتسبت الملل إلى مذاهبها الدينية المختلفة، فانعكس ذلك على تنوّع المدارس الفلسفية والعقدية، وانتشار المساجد، وكثرة الزوايا والخوانق (الخانقاهات) الصوفية، كما برز في هذا السياق عدد من الأئمة والعلماء المنتمين إلى مختلف الملل[2]، بالإضافة إلى أولياء تصدّروا الطرق الصوفية والزهدية في كل من مصر وبلاد الشام[3].

---

[1] ـ نجم الدين محمد بن محمد الغزي، الكواكب السائرة السائرة بأعيان المائة العاشرة ، تح: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج1، ص 80. عبد الله دولت، معاهد تزكية النفوس في مصر في العصر الأيوبي والمملوكي ، دار الفن، القاهرة، 1980م، ص48– 52.

[2] ـ ابراهيم بسيوني ، نشأة التصوف الاسلامي ، مطبعة دار المعارف، ط 2، القاهرة ، 1969م، ص116.

[3] – توماس ارنولد، من تراث الإسلام ، تر: جرجيس فتح الله ، ط1 ، دار الطليعة، ط1، بيروت، 1975م ، ص132.

لعبت الطرق الصوفية دورًا بارزًا في تطوير المؤسسات الدينية، مثل الخوانق والزوايا، التي شكّلت مراكز دينية وثقافية واجتماعية فاعلة في المجتمع المملوكي. ومن أبرز المدارس الصوفية التي ظهرت في مصر خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، مدرسة صوفية كبرى في صعيد مصر، أسسها الشيخ عبد الرحيم القنائي (ت 592هـ/ 1196م)،[3] الذي عُدّ من كبار الأولياء والصالحين في تلك الفترة. وقد تولى أمرها من بعده الشيخ أبو الحسن الصباغ (ت 613هـ/ 1216م)،[1] الذي كان من أعلام التصوف في صعيد مصر، وتتلمذ على يديه عدد كبير من الصوفية.

وفي القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي ، شهدت مصر ازدهارًا ملحوظًا للتصوف الطرقي، ومن أبرز مظاهر هذا الازدهار قدوم الشيخ أبي الفتح الواسطي[2] من العراق، الذي

---

[3]– الشيخ **عبد الرحيم القنائي: هو** أبو محمد عبد الرحيم بن أحمد بن حجون التميمي القنائي، ويُعرف غالبًا بـ **القنائي** نسبةً إلى مدينة قنا في صعيد مصر. يُعد من كبار **الأولياء والصالحين** وشيوخ الصوفية البارزين في مصر خلال القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي). وُلد في ترغاي (بالمغرب العربي حاليًا) ثم ارتحل إلى مكة المكرمة حيث تعلم وتصوف، ومنها استقر في قنا بمصر حتى وفاته عام 592 هـ (الموافق 1196 م) . كان له تأثير روحي وعلمي كبير في المنطقة، وقد أصبحت قنا مركزًا صوفيًا مهمًا بفضله، وما زال ضريحه في قنا مزارًا مشهورًا حتى اليوم. كان له تلاميذ ومريدون كثر، وقد ساهم في نشر تعاليم التصوف المعتدل والزهد .انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر، بيروت، 1971، ، ج3 ، ص 160–161.

1– الشيخ **أبو الحسن الصباغ : هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الصباغ الإسكندراني.** يُعرف بكونه أحد كبار شيوخ الصوفية في مصر، وتولى أمر الزاوية أو الطريقة التي أسسها الشيخ عبد الرحيم القنائي من بعده. هذا يشير إلى مكانته وخلافته للشيخ القنائي في قيادة مريديه وتعاليمه. تُوفي الشيخ أبو الحسن الصباغ عام 613 هـ / 1216م. يُعدّ الشيخ الصباغ من الفقهاء الصوفيين، وقد عُرف بعلمه وزهده واهتمامه بالجانب الروحي والتربوي لمريديه. كان له دور في استمرارية نهج الشيخ القنائي في صعيد مصر بعد وفاته، مما يعكس أهمية تواصل القيادة الروحية في الطرق الصوفية. انظر: الذهبي، *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*. تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2004، ج 13، ص 540–539

[2]– الشيخ **أبو الفتح الواسطي:** هو **أبو الفتح بن أبي الغنائم يوسف بن محمد بن يوسف الواسطي القرشي الشافعي.** يُعد من كبار شيوخ الصوفية والعلماء الأفاضل في عصره، وقد عاش في القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي، يُنسب إلى **واسط،** وهي مدينة تاريخية تقع بين البصرة والكوفة في العراق. اشتهر الشيخ أبو الفتح الواسطي بكونه **شيخ الشيوخ في الديار المصرية،** مما يدل على مكانته الرفيعة ونفوذه الروحي والعلمي الكبير في مصر. كان له مريدون وأتباع كُثر، وقد ساهم في نشر تعاليم التصوف المعتدل والورع بين الناس. تُشير المصادر إلى أنه كان من أهل العلم والزقى، وجمع بين الفقه والتصوف والحديث. انظر: ابن الجزري، *غاية النهاية في طبقات القراء*، تحقيق محمد صدقي عنصاري، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1351 هـ،ج 2 ، ص 394.انظر ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، دار صادر، بيروت ، 1977، ، ج5، ص 356–357

استقر في الإسكندرية، ونشر فيها الطريقة الرفاعية، مما ساهم في تنويع الخارطة الصوفية بمصر وتعزيز التقاليد الروحية الوافدة من المشرق الإسلامي.

فكانت مدرسة الجنيد البغدادي هي التي وضعت قواعد ومنهج التصوف على ضوء الكتاب والسنة فما وافقها أخذت به وما خالفها نقضته وأوضحت ضلالته ودلت على بطلانه . وكان لها الأثر الكبير في المدارس التي جاءت بعدها، فاستخدمت المدارس اللاحقة أسلوب وقواعد المدرسة الجنيدية، حتى استخدم العلماء الذين جاءوا بعده تعاليمه، وألفاظه في أول مقدمة كل موضوع على جميع الأقوال وعد بذلك سيد الطريقة وشيخها، وإليها يرجع علم الطريقة بل إليها ترجع جميع الطرق الصوفية المتداولة في البلاد الإسلامية.[1]

انتشرت فروع مدرسة الجنيد في معظم أرجاء العالم الإسلامي خلال القرنين الرابع والخامس الهجري/ 913 م و 1009م، ويُعد الشيخ عبد القادر الجيلاني من أبرز المنتسبين إلى هذه المدرسة، إذ يرجع سنده في التصوف إلى الإمام الجنيد .وبجانب فروع مدرسة الجنيد، ظهرت وانتشرت أيضًا مدارس صوفية أخرى، ترتبط بعضها بأئمة من آل البيت، بينما تتصل أخرى بأعلام كبار في ميدان التربية الروحية، مثل: الحسن البصري (ت: 110هـ/ م)، ومعروف الكرخي (ت: 199هـ/ م)، والفضيل بن عياض (ت: 187هـ/ م )، والحارث المحاسبي (ت: 243هـ/ م)، وأبو سليمان الداراني (ت: 215هـ/ م .)، وذو النون المصري (ت: 246هـ/ م )، وسهل بن عبد الله التستري (ت: 283هـ/ م )، إمام الطريقة السَّهْلية، وغيرهم، وفي هذا السياق، بدأت ملامح بعض الطرق الصوفية بالتبلور والظهور بشكل أكثر استقلالًا وتنظيمًا[2].

[1] ـ عبد الوهاب الشيخ حمد، مدرسة التفسير في بغداد في القرنين الهجريين الثالث والرابع، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013م، ص 101.

[2] ـ عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته، دار الكتب العلمية، بيروت، د. س، ص 77.

ويذكر الجنيد فائدة التصوف فيقول هي: "إصلاح القلوب وإفرادها لله عما سواه"؛ فقد ثبت أن شرف الشيء في متعلقه، ولا أشرف من متعلق التصوف الذي يبتدئ بمعرفة الله، واتباع شرعه، وخشيته التي هي نتيجة معرفته تعالى، ومقدمة لإتباع شرعه أمرا ونهيا.[1]

وتكمن أهمية التصوف بأنه يعمل على تعليم الأخلاق الحسنة، فهو يجنب ارتكاب السيئة فالمنهج العملي في التصوف يكمن في التوكل على الله والرضا عنه والتسليم له والتواضع والحلم ... إلخ ، ويجنب السيئة كالكبر والغرور والبخل والحسد والحقد والرياء ... إلخ. ثمَّ يجاهد نفسه على تركها، إذ إن المجاهدة فرض على كل مكلف ولا يمكن حصولها إلا بمعرفة الأخلاق المذمومة والممدوحة، ومعرفة طرق المجاهدات التي اشتغل بها السادة الصوفية ، ولهذا قال أبو الحسن الشاذلي : ( من مات ولم يتغلغل في علمنا هذا مات مصراً على الكبائر وهو لا يشعر ) مع العلم أن الكبائر والفواحش منها ظاهرة كالزنا وشرب الخمر. [2]

ويبدو أن الفقيه إذا كان صوفياً ذا كرامات ظاهرة وكلمات هادية يصبح قدوة في المجتمع يقتدى الناس به ويتمثلون أقواله وأشعاره، وهذا الأثر للصوفية في مجتمعاتهم كان واضحاً آنذاك، ولكن القرشي وضع ضوابط للاقتداء بالصالحين فقال محذراً " وإياكم ومحاكاة أصحاب الأحوال قبل إحكام الطريق وتمكن الإقدام فإنها تقطع بكم.[3]

وقد وقف العلماء المتصوفة إلى جانب أفراد المجتمع، يدافعون عنهم ويطالبون بحقوقهم، مستخدمين في ذلك وسائل وطرقًا متعددة، ومن أبرز وسائلهم: التكبير في المساجد، ورفع الأعلام على المآذن، وحمل المصاحف، والاستغاثة، والتهليل، ورفع عرائض الاحتجاج[4].

---

[1] ـ أحمد بن أحمد زروق، قواعد التصوف، تح: محمد ادريس طيب، المدرسة الزروقية، كتاب ناشرون، بيروت، 2022م، ج1، ص 175.

[2] –عبد القادر عيسى، حقائق عن التصوف، دار العرفان، حلب، 2013م، ص 94، 95.

[3] –عمر سليم عبد القادر التل، متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، دار المامون للنشر والتوزيع، ط 1، الأردن، 2009م، ص 160.

[4] ـ ابن كثير، البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1، 1997م، ج14، ص. 207

وقد أولى المماليك اهتمامًا كبيرًا بالصوفية، واعتقدوا ببركتهم، فشيّدوا لهم العديد من الخوانق والربط والزوايا، واجتهدوا في بنائها وزخرفتها، وأوقفوا عليها الأوقاف الكثيرة، حيث حظي الصوفية باحترام العامة وتقديرهم، لاعتقاد الناس بكراماتهم وقدرتهم على الإتيان بالخوارق[1].

وقد أدّت المؤسسات الصوفية دورًا مميزًا في المجتمع؛ إذ كانت تُقام فيها المناسبات الدينية والاجتماعية، كما قامت بدور تعليمي مشابه لدور المدارس، فضلاً عن كونها مأوى للأرامل، والأيتام، والمحتاجين، ومن تقطعت بهم السبل[2].

**المبحث الثالث: الانعكاسات المتباينة للطرق الصوفية**

شهدت الطرق الصوفية عبر تاريخها الطويل انعكاسات متباينة في تأثيرها على المجتمع الإسلامي، فقد جمعت بين الجوانب الإيجابية التي أسهمت في ترسيخ القيم الروحية والأخلاقية، وبين بعض المظاهر السلبية التي أثارت الجدل والانتقاد. فمن جهة، كانت هذه الطرق عامل استقرار نفسي واجتماعي، أسهمت في تهذيب السلوك وبث روح التسامح والتآلف بين أفراد المجتمع. ومن جهة أخرى، ظهرت بعض التجاوزات والممارسات التي انحرفت عن مقاصد التصوف الأصيلة، فاختلطت بالعادات والبدع، وأثّرت أحيانًا في صورة التدين الشعبي. وعليه، يهدف هذا المبحث إلى تحليل هذه الانعكاسات المختلفة، واستعراض أبعادها الفكرية والاجتماعية، بما يُسهم في فهم أعمق لدور الطرق الصوفية وتفاعلاتها في محيطها التاريخي.

يقول الإمام محمد أبو زهرة: " لا نريد التصوف الذي شاع في عصر المماليك في مصر والشام، والذي كان أهم مظاهره الشعبذة والصياح والتمايل بما يسمونه الذكر في المجالس

[1] ـ المقريزي، المصدر السابق ، ص. 332

[2] . عبد الرحمن بدوي، موسوعة التصوف الإسلامي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1993، ص. 189

والخروج بالمواكب والأعلام في الطرق واللعب بالثعابين وابتلاع النيران وغير ذلك مما كانت تظهر به فرق مختلفة ". [1]

إن تيار التصوف الإسلامي، باعتباره أحد أبرز مظاهر الحياة الروحية في الإسلام، قد انقسم منذ القرنين السادس والسابع الهجريين/ 1106م 1203م إلى شُعبتين رئيسيتين :الشعبة الأولى تمثلت في التصوف الفلسفي، وهو التيار الذي امتزجت فيه التجارب الروحية والمواجيد الصوفية بالتصورات الفلسفية والنظرية العقلية والكلامية .أما الشعبة الثانية، فهي التصوف العملي، الذي يقوم على التمسك الصارم بأصول الكتاب والسنة، وأداء الفرائض والالتزام بالتكاليف الشرعية، مع الاهتمام بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق، واستجلاء المعاني الروحية والخواطر القلبية بعيدًا عن الانشغال بالنظريات الفلسفية.[2]

ولقد لقي هذا التيار العملي رواجًا واسعًا، خاصة في أوساط مشايخ الطرق الصوفية وأتباعهم، حيث انتشر بين العامة والخاصة في مختلف أرجاء العالم العربي والإسلامي، وأصبح له جمهور كبير من المريدين. وفي هذا السياق، برز السيد أحمد البدوي، الذي كان أحد أعلام التصوف العملي، شأنه في ذلك شأن كبار مشايخ الطرق الصوفية في عصره.[3]

وعلى الرغم من أن انتشار الطرق الصوفية كان غالبًا في الأوساط الفقيرة التي يكثر فيها الدراويش وأبناء الطبقات الدنيا، إلا أن الكثير من المتصوفة كانوا نشطين في مجالات العمل المهني والحرفي، ويظهر ذلك من خلال الألقاب التي حملها عدد كبير منهم، مثل: الوراق، الحزاز، الحمال، النتاج، الكتاني، الزجاج، الصيرفي، والفراء. كما أن بعضهم تولّى وظائف دينية وإدارية، فكان منهم الأئمة والخطباء والمؤذنون، إضافة إلى من عمل في توزيع المربعات

---

[1]. عبد الباسط محمد حسن، الإمام النبهاني يوسف بن إسماعيل بن يوسف وجهوده في الدعوة إلى الله تعالى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2019م، ص 135.

[2]– نفسه، ص 674.

[3] – عمر سليم عبد القادر التل، متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، ط1، دار المامون للنشر والتوزيع، الأردن، 2009م، ص 160.

الشريفة أو تولى مهام أمناء المكتبات، وبرز من بينهم أيضًا من احترف مهنًا طبية، مثل معالجة العيون (الكحال) أو الطب الباطني (الطبيب الطبائعي). [1]

وكانت الخوانق في العصر المملوكي شبيهة بالمدارس من حيث دورها التعليمي، فبعضها كان يقتصر على تدريس مذهب فقهي واحد، بينما كان البعض الآخر يدرّس المذاهب الأربعة مجتمعة، وإن كان ذلك أحيانًا بمستوى أدنى من المدارس التقليدية أو مساوٍ لها في بعض الحالات، وقد حظيت بعض الخوانق بمكانة علمية رفيعة حتى اعتُبرت مؤسسات للتعليم العالي، مثل خانقاه الجمالية وخانقاه الجاولية، مما أتاح لبعض المتصوفة أن يكونوا علماء متمكنين ساهموا في نشر العلم وتعليم الفقه والأحكام الشرعية، وبناءً على ذلك، اعتُبرت الخوانق — لا سيما المرموقة منها — مراكز علمية وروحية في آنٍ واحد، لكن مع فارق مهم، هو أن أساس إنشائها كان التصوف والزهد والانقطاع عن الدنيا، أي تهذيب النفس والروح في المقام الأول، ولهذا السبب، تميّز مشايخها بأنهم جمعوا بين التصوف والعلم، ومن أبرزهم: زين الدين الأبيوردي (ت 667هـ/1269م)، وأبو الفضل الشاذلي (ت 709هـ/1309م)، وأبو البقاء الدميري الشافعي، وعلاء الدين القونوي الشافعي.[21]

شجع بعض مشايخ الطرق على معتقدات غيبية لا أساس لها، مما رسخ الجهل والخرافة بين العامة، فكان الشيخ ومريدوه يقيمون حلقات الذكر أو "الحضرة" بالليل حيث يزيد جمهور المتصوفة مما يزيدها صحباً وجاذبية، فينشدون الأناشيد والتراتيل الدينية،[3] وفي القرن الخامس هجري/ 1009م، دخل الرقص إلى جانب الغناء والتصفيق وإلقاء القصائد الشعرية التي كان لها شأن كبير ضمن مراسم مجالس الصوفية. [4]

---

[1] - أبو حفص السهروردي عوارف المعارف، تح احمد عبد الرحيم السايح ، توفيق علي وهبة، مج 1، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1 ، القاهرة، 2006 ، ص 13. صالح لمعي مصطفى: التراث المعماري الإسلامي في مصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1984م، ص24.

[2] – المقريزي، المصدر السابق،ج4، ص288.

[3] –أحمد شلبي، موسوعة النظم والحضارة الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1959م، ج6 ، ص209.

[4] –ليلى سليم شاتيلا، المرجع السابق، ص 117.

فالأحداث القاسية التي مرت بها مصر إبان تصديها للعدوان الصليبي والتتاري ، فرضت على المصريين حالة جعلت بعضهم يركن إلى الاستسلام ، كما جعلت بعضهم يتلقفون الخرافات باسم الدين ويجعلونها قوام حياتهم ونسيج تفكيرهم ومدار اعتقادهم ، ولقد اقترنت تلك الحروب بشيوع الأساطير وأحاديث الخوارق التي تعتنقها الجماهير وتدين بها كعقائد راسخة لا تقبل الشك ولا تحتمل التكذيب.[1]

في هذه الظروف لم يكن من الغريب أن تصبح أهم كرامة لأحمد البدوي أثناء حياته وبعد وفاته، إحضاره الأسرى من بلاد الإفرنج ، لأن البدوي عاش ومات في فترة الحروب الصليبية ، حيث كانت حوادث الصراع مع الصليبيين الشغل الشاغل للناس . وعلى كل كان من شأن تلك الظروف العسكرية ، مع طبيعة الاقتصاد الإقطاعي ، أن فتح الباب واسعاً لدخول طريق التصوف الذي يضمن الناس به الحياة في الدنيا داخل بيوت الصوفية ، والفوز بالآخرة[2].

ولقد كان الوضع كفيلاً بخلق نوع من التدين الخرافي في ريف مصر ومدنها، وبإيجاد نوع من اللجوء إلى أولياء التصوف ورجاله، ففي الريف كان الفلاح يعيش في حالة من الفقر والجهل والمرض والظلم، من هنا ظهرت حاجته إلى من يعينه ويقف بجانبه لذلك ليس من المستغرب أن يؤمن بكرامات الأولياء، لأنهم – في اعتقاده – يمتلكون القدرة على إنبات الزرع وقلب الأعيان – مثل قلب الشعير إلى قمح – ونصرة المظلوم إذا استغاث بهم ، وشفاء المرضى، ووضع البركة في أولاده وحيواناته وصحته، وفي المدن أيضاً، حيث أماكن التصوف الكثيرة والشهيرة ، انتشرت ظاهرة اللجوء إلى الأولياء، بالإضافة إلى ظاهرة اللجوء لبيوت المتصوفة من خانقاهات وزوايا وربط ، ومن هنا تبدو أسباب زيادة بيوت المتصوفة في العصر المملوكي .[3]

[1] –محمد فهمي عبد اللطيف، السيد البدوي أو دولة الدراويش في مصر، مطبعة الحرية، القاهرة، 1948.

[2]. سعيد عبد عاشور، السيد أحمد البدوي شيخ وطريقة، دار الكتاب العربي، ط 2، القاهرة، 1967م، ص 169- 170.

[3] –سعيد عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، ط2،القاهرة، 1976م، ص 324، 325.

فالانحراف عن روح التصوف الحقيقي حيث ابتعد الكثير من المتصوفة عن جوهر الزهد والعبادة وانشغلوا بمظاهر أخرى، ومن هذه المظاهر التلفظ بألفاظ غريبة عن سائر الناس ومن حركات يفعلونها لا تتوافق مع مجموع الناس حتى أصبحت المساجد غاصة بهم وبأمثالهم، والأضرحة تجمع حولها أشتات منهم مختلفون ويمكننا أن نجمع عدة نقاط لا يتفق عموم الناس عليها وهي : ظاهرة تقبيل الأيدي، ظاهرة التبرك والتوسل بغير الله ورسوله، التطويح والتمايل في حلقات الذكر، الأوراد الخاصة بكل طريقة وما بها من ألفاظ غربة لا يعرف لها تفسير، تباين واختلاف الطرق الصوفية فيما بينها، الحفاظ على الشفرة فيما بينهم فنجد أن لهم ألفاظهم الخاصة يتخاطبون بها، الخلوة المفروضة عليهم والمختلفة باختلاف الطريقة وشيخها، تفسير القرآن تفسيراً خاصاً لا يعلمه عموم الناس، التبرك بكل ولي وصالح من الناس والالتفاف حوله والأخذ منه.[1]

وإذا مات الشيخ الصوفي تنافس الناس في الحصول على ماء غسله للتبرك به. وشراء أثوابه التي مات فيها لأخذها حرزم، وحين مات الشيخ الشناوى (اقتتل الناس على النعش)، وذهلت عقولهم من عظم المصيبة بهم، وقد دفن في غفلة عنهم .[2]

وبالتالي يمكن القول أن شهدت الطرق الصوفية في العصر المملوكي انعكاسات متباينة على المجتمع. فمن جهة، أسهمت في ترسيخ القيم الدينية ونشر الزهد والتقوى، كما وفرت ملاذًا روحيًا وتعليميًا للناس، خاصة الفقراء والمهمشين. ومن جهة أخرى، تعرّضت بعض الطرق لانتقادات بسبب الانعزال عن الواقع أو التواكل والابتعاد عن العمل والإنتاج. كما اتُّهم بعض مشايخها باستغلال النفوذ لتحقيق مصالح خاصة. وعليه، يعكس هذا التباين تنوع أدوار الطرق الصوفية وتفاوت تأثيرها باختلاف الزمان والمكان.

[1] –علي أحمد عبد العالي، بدع الصوفية والكرامات والموالد، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ص 24.

[2] –الشعراني، المصدر السابق2، ص 117.

مما سبق يتضح أن الطرق الصوفية لم تكن مجرد حركات روحية معزولة عن واقعها، بل شكلت جزءًا أساسيًا من النسيج الاجتماعي والسياسي والثقافي في العصر المملوكي. فقد لعبت دورًا محوريًا في تهذيب النفوس، ونشر القيم الدينية، وتقديم الرعاية الاجتماعية، فضلًا عن مساهمتها في التعليم والتثقيف، ما جعلها مؤسسات شعبية ذات تأثير واسع. كما أظهرت الدراسة أن العلاقة بين الطرق الصوفية والسلطة المملوكية كانت علاقة متبادلة ومركّبة؛ ففي حين استفادت السلطة من التأثير الشعبي لمشايخ الطرق الصوفية لتعزيز شرعيتها، استفاد الصوفيون من دعم الدولة لتوسيع نشاطاتهم وترسيخ حضورهم في المجتمع. وفي ظل الأزمات والاضطرابات التي عرفها العصر المملوكي، كانت الطرق الصوفية ملاذًا روحيًا واجتماعيًا، ساهم في تحقيق نوع من التوازن والاستقرار. وهذا ما يؤكد أهمية هذه الطرق ليس فقط في بعدها الديني، بل في بعدها الحضاري أيضًا، بوصفها فاعلًا رئيسيًا في تاريخ المجتمع الإسلامي في تلك المرحلة.

# خاتمة

بعد دراسة الطرق الصوفية في العصر المملوكي دورها وتأثيرها على الحياة الاجتماعية توصلنا إلى بعض النتائج نستعرضها في النقاط التالية:

– يُعدّ التصوف جانبًا مهمًا في تاريخ الفكر الإسلامي، إذ يُمثل منهجًا وطريقًا في العبادة والتفكير، وقد حظي باهتمام كبير من قِبل الباحثين.

– اختلف الباحثون والمتصوفة في ضبط مفهوم موحّد للتصوف وفي تحديد أصل اشتقاقه، ويُعزى ذلك إلى ما يتّسم به المصطلح من غموض وتشعّب، ممّا يجعل من الصعب على الباحثين إيجاد تعريف دقيق وشامل له، نظرًا لكونه مجالًا خصبًا للتأويل والتفسير، وقد قدّم كلّ منهم تعريفًا يعكس انتماءه وتصوراته ودرجة مقامه الروحي أو الفكري.

أنّ التصوف نشأ نشأة إسلامية محضة، وارتبط بالإسلام ارتباطًا وثيقًا منذ بداياته الأولى؛ إذ تجلّى في نمطٍ زهدي برز خلال القرن الثاني للهجرة، دعا إلى الزهد في الدنيا، وترك الشهوات والملذات، والتفقّه في أمور الدين، والالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية. وقد قام هذا الاتجاه الروحي على الإعراض عن زخارف الحياة والإقبال على الطاعات، والاستعداد للآخرة، والعمل لها. وهو ما أكدته نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وسيرة الصحابة والتابعين الذين عُرفوا بورعهم وزهدهم، فكانوا من أبرز الداعين إلى التديّن الخالص والتقوى الصادقة.

ـ أن التصوف في العصر المملوكي (1250–1517م) مر بعدة مراحل مهمة حيث برز كبديل روحي وديني، وازدهرت الزوايا وانتشرت الطرق الصوفية مثل الشاذلية والقادرية.كما اكتسبت بعض الطرق بعدا سياسيا، الأمر الذي دفع الدولة المملوكية إلى التقرب منها نظرًا لنفوذها الشعبي الكبير، فأصبح التصوف جزءا من المؤسسة الدينية وارتبط بالمذاهب

الفقهية، مما زاد من شرعيتها الدينية فبرزت شخصيات صوفية تلعب دور الوسيط بين الحاكم والمحكوم.

- لم يسلم التصوف من الانتقاد والجدل حيث تصاعد النقد من العلماء السلفيين أو الفقهاء التقليديين ضد بعض ممارسات المتصوفة ، كما دافع صوفيون معتدلون عن التصوف السني القائم على الزهد والتربية الروحية.

لم يكن التصوف في العصر المملوكي مجرد تيار روحي، بل لعب دوًرا اجتماعيًا بارزًا إذ كان من أبرز القوى الروحية والثقافية التي أثرت في حياة الناس اليومية و شكلت قوة اجتماعية فعالة فقد قام المتصوفة بدور تقديم الدعم الروحي والمادي للفئات المهمشة ورعاية الفقراء والمحتاجين، ونشر التعليم بين العامة من خلال انشاء الزوايا، ما أكسبهم مكانة مؤثرة في المجتمع ونالو احترام حكام المماليك لتعزيز شرعيتهم وكسب رضا العامة مما جعل التصوف جسرا يربط بين الحكام والشعب وأداة فعالة لحفظ التوازن الاجتماعي في ظل اجواء الاضطراب السياسي التي سادت خلال دلك العصر .

# قائمة المصادر والمراجع

**أولاً:القرآن الكريم**

**ثانيا: المصادر العربية**


1. ابن الجزري، (ت. 833 هـ / 1429 م)، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق محمد صدقي عنصاري، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1351 هـ، ج 2
2. ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن، (ت. 597 هـ / 1201 م)، تلبيس إبليس، تح: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، لبنان، 2007م
3. ابن بطوطة، (ت. 779 هـ / 1377 م)، رحلة ابن بطوطة، دار الصادر، بيروت، (د ت)
4. ابن تغري بردي، (ت. 874 هـ / 1470 م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1970، ج 8
5. ابن تيمية، تقي الدين أحمد عبد الحليم (ت 728هـ/ 1327م)، مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، ط3، دمشق، 2005، ج5
6. ابن خلدون، عبد الرحمن، (ت. 808 هـ / 1406 م)، المقدمة، تح: علي عبد الواحد الوافي، دار النهضة، ط7، مصر، 2014، ج3
7. ابن خلدون، عبد الرحمن، (ت. 808 هـ / 1406 م)، شفاء السائل وتهذيب المسائل، تح: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، ط1، دمشق، 1996، ص 52
8. ابن خلكان، (ت. 681 هـ / 1282 م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. المجلد 1، الجزء 1، تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر، بيروت، 1971
9. ابن كثير، (ت. 774 هـ / 1373 م)، البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1، 1997م، ج14
10. ابن منظور، (ت. 711 هـ / 1311 م)، لسان العرب، دار صادر، ط1، بيروت، (د ت)، ج 10
11. أبو القاسم عبد الكريم القشيري، (ت. 465 هـ / 1072 م)، الرسالة القشيرية، مطبقة مصطفى البابي الجبلي وأولاده، ط1، القاهرة، 1940
12. أبو حفص السهروردي، (ت. 632 هـ / 1234 م)، عوارف المعارف، تح: احمد عبد الرحيم السايح، توفيق علي وهبة، مج 1، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، القاهرة، 2006
13. أحمد البدوي، (ت. 675 هـ / 1276 م)، أوراد وأحزاب وصلوات سيدي أحمد البدوي، تق: الشريف رجب الطيب، عمر أحمد الرواي، كتاب ناشرون، مصر، (د ت)

14. أحمد الرفاعي، (ت. 578 هـ / 1182 م)، البرهان المؤيد، تح: صفوة السقاء، دار الكتاب النفيس، بيروت، 1988م

15. البخاري، في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، 28/1 (52)، ص 28، وملسم في كتاب البيوع، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، 1219/3 (1519)

16. الخطيب البغدادي، (ت. 463 هـ / 1071 م)، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، لبنان، 2001م، ج8

17. الذهبي، (ت. 748 هـ / 1348 م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2004، ج 13

18. الذهبي، (ت. 748 هـ / 1348 م)، سير أعلام النبلاء، ج4، مؤسسة الرسالة، 2001

19. الأنصاري،زكريا بن محمد (ت. 936هـ)، حاشية العلامة مصطفى العروسي المسماة نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، ط2، باكستان، 1986

20. الشعراني، (ت. 973 هـ / 1565 م)، الطبقات الكبرى، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، (د.ت)، ج2

21. الشعراني، (ت. 973 هـ / 1565 م)، لوافح الأنوار في طبقات الأخيار، ج1، مكتبة محمد المليجي الكتبي وأخيه، د.ط، مصر، 1897

22. الصافدي، (ت. 764 هـ / 1363 م)، الوافي بالوفيات، ج21، دار صادر، ط2، بيروت، 1991، ج21

23. الجيلاني،عبد القادر : (ت. 561 هـ / 1166 م)، الغوث الأعظم (الديوان الفارسي)، تر: منال اليمني عبد العزيز، دار الأفاق للنشر والتوزيع، ط 1، 2016م

24. الغزالي، (ت. 505 هـ / 1111 م)، احياء علوم الدين، ج2، دار ابن حزم، ط2، بيروت، 2005

25. السنوسي،محمد بن علي : (ت. 895 هـ / 1490 م)، المسائل العشر في علم التصوف. تحقيق: عبد القادر فاسي الفهري، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1996

26. المقريزي، (ت. 845 هـ / 1442 م)، الخطط، ج2، تحقيق: محمد زينهم – مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1997

27. المقريزي، (ت. 845 هـ / 1442 م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1996، ج2

28. المقريزي، (ت. 845 هـ / 1442 م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)، تحقيق: خليل عمر، دار صادر، بيروت، ج2، 1271هـ

29. المقريزي، (ت. 845 هـ / 1442 م)، كتابة السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: سعيد عبد الفاتح عاشور، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2007م، ج3
30. الغزي ،نجم الدين محمد بن محمد الغزي، (ت. 1061 هـ / 1651 م)، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تح: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج1
31. الحموي ، ياقوت : (ت. 626 هـ / 1229 م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، ج5

**ثانيًا: المصادر الأجنبية المترجمة**

1. أنا ماري شيمل، (ت. 2003 م)، الأبعاد الصوفية في الاسلام وتاريخ التصوف، تر: محمد اسماعيل السيد رضا حامد قطب، منشورات الجمل، ط1، بغداد، 2006
2. توماس ارنولد، (ت. 1930 م)، من تراث الإسلام، تر وتع: جرجيس فتح الله، ط1، دار الطليعة، ط1، بيروت، 1975م
3. جولد تسيهر، (ت. 1921 م)، العقيدة والشريعة في الإسلام، دار الكتاب المصري، مصر، 1946 م
4. ر.أ.نيكلسون، (ت. 1945 م)، الصوفية في الإسلام، نور الدين بن شربة، مكتبة الخانجي، ط2، مصر، 2002.

**ثالثًا: المراجع العربية**

1. إبراهيم أنس وآخرون، المعجم الوسيط، بيانات النشر، ط2، القاهرة، 1972، ج1
2. إبراهيم بسيوني، (ت. 1989 م)، نشأة التصوف الإسلامي، مطبعة دار المعارف، ط 2، القاهرة، 1969م
3. أبو العلا عفيفي، (ت. 1966 م)، رسالة الملامتية، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، مج6، ج1، 1942م
4. التفتزاني ،أبو الوفا الغنيمي ، (ت. 1979 م)، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط3، القاهرة، 1976
5. التفتزاني ،أبو الوفاء الغنيمي ، (ت. 1979 م)، "الطرق الصوفية في مصر"، مجلة كلية الآداب، مجلد25، جامعة القاهرة، مصر، 1963م
6. احسان إلهي الظهير، (ت. 1987 م)، التصوف المنشأ والمصدر، دار الترجمان السنة، ط1، لاهور، باكستان، 1986

7. أحمد بن أحمد زروق، (ت. 899 هـ / 1493 م)، قواعد التصوف، تح: محمد ادريس طيب، المدرسة الزروقية، كتاب ناشرون، بيروت، 2022م، ج1.

8. أحمد شلبي، (ت. 1990 م)، موسوعة النظم والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1959م، ج6

9. أحمد عبد الفتاح محمد السيد، (معاصر)، التصوف بين الغزالي وابن تيمية، ط6، دار الوفاء، المنصورة، 6235هـ/2000م

10. أحمد غسان سبانو، (معاصر)، عبد القادر الجيلاني (حياته، نسبه، مؤلفاته)، دار الينابيع لطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، سوريا، 2009م

11. برهان رزيق، التصوف في تاريخ الفكر الإسلامي، د.ط، د.د.ن، سوريا، 2016

12. بوزياني الدراجي، عبد الرحمن الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، دار اليونازي درجاي، ط2، البويرة، 2009

13. جمال الدين فالح الكيلاني، زياد حمد الصميدعي، الإمام أحمد الرفاعي المصلح المجدد، المنظمة المغربية للتربية والثقافة والعلوم، المغرب، 2013م

14. الحسيني معدي، موسوعة التصوف، كنوز للنشر، مصر، 2013م

15. الزركلي، خير الدين، (ت. 1986 م)، الأعلام، الجزء السابع، دار العلم للملايين، بيروت، 2002

16. السخاوي، (ت. 902 هـ / 1497 م)، وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تح: بشار عواد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1995، ج 2

17. سعيد عاشور، (ت. 2006 م)، العصر المملوكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، ط2، القاهرة، 1976م

18. سعيد عبد عاشور، (ت. 2006 م)، السيد أحمد البدوي شيخ وطريقة، دار الكتاب العربي، ط 2، القاهرة، 1967م

19. شهاب الدين أبو عمرو، القاموس الوافي، مر: يوسف البقاعي، دار الفكر، ط1، بيروت، 2003

20. عباس كحول، زوايا الزيبان العزوزية مرجعية علم وجهاد، دار علي بن زيد للطباعة، بسكرة، 2013

21. عبد الباسط محمد حسن، الإمام النبهاني يوسف بن إسماعيل بن يوسف وجهوده في الدعوة إلى الله تعالى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2019م

22. عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، 2009م

23. عبد الحفيظ بن منصف عبد الحق المكي، موقف الأئمة من الحركة الصوفية في التصوف والصوفية، دار السلام، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1421هـ / 2001م

24. عبد الرحمن أبو راس، شيخ الشيوخ بالديار المصرية في الدولتين الأيوبية والمملوكية، مكتبة عالم الفكر، القاهرة، 1987م

25. عبد الرحمن بدوي، (ت. 2002 م)، موسوعة التصوف الإسلامي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1993

26. عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عبد الله القرشي، السماع عند الصوفية: عرض ونقد على ضوء أهل السنة والجماعة، جامعة أم القرى، السعودية، 1421هـ

27. عبد العزيز شهبي، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2007م

28. عبد الغني محمود عبد العاطي، التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، دار المعارف، القاهرة، 1984م

29. عبد الفتاح رواس قلعة جي، السهروردي مؤسس الحكمة الإشراقية دراسات ومختارات، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2013م

30. عبد القادر عيسى، (ت. 2004 م)، حقائق عن التصوف، دار العرفان، حلب، 2013م

31. عبد الله بن دجين السهلي، الطرق الصوفية: نشأتها وعقائدها وآثارها، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، 2005

32. عبد الله حسن زروق، قضايا التصوف الإسلامي، هيئة الأعمال الفكرية، ط2، الخرطوم، السودان، 2006

33. عبد الله خدر حمد، التصوف وفضاءات التأويل، الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط1، 2017

34. عبد الله دولت، معاهد تزكية النفوس في مصر في العصر الأيوبي والمملوكي، دار الفن، القاهرة، 1980م

35. عبد المتعال الصعيدي، (ت. 1986 م)، المجددون في الإسلام من القرن الأول الى القرن الرابع عشر، مكتبة المهتدين، مصر، 1996م

36. عبد الوهاب الشيخ حمد، مدرسة التفسير في بغداد في القرنين الهجريين الثالث والرابع، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013م

37. عبده غالب أحمد عيسى، مفهم التصوف، دار الجبل، بيروت، 1992.

38. علي أحمد عبد العالي، بدع الصوفية والكرامات والموالد، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م

39. علي حيدر، أثر سياسة الدولة المملوكية في شيوع التصوف، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، مج12، العدد1، جامعة تشرين، 1990م

40. علي مبارك، (ت. 1893 م)، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1983م، ج2.

41. عمر سليم عبد القادر التل، متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، ط1، دار المامون للنشر والتوزيع، ط 1، الأردن، 2009م

42. عودة رافع شرعة، المجتمع الشامي في العصر المملوكي، 648-923 م، دار الناشرون، مصر، 2019م

43. فواز بن بشار حسني، الفيوضات المحمدية على الطريقة الرفاعية، كتاب ناشرون، مصر، 2014م

44. قاسم غني، (ت. 1969 م)، تاريخ التصوف في الإسلام، تر: صادق نشأت، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1970م، ج 2

45. كمال الدين أبي الفضل، (ت. 1380 م)، الموفي في معرفة التصوف والصوفي، تحقيق محمد عيسى صالحية، دار العروبة، ط1، الكويت 1988

46. كمال الدين محمد الحريري سبط الرفاعي، معجم الطرق الصوفية المفصل (تبيان وسائل الحقائق في بيان سلاسل الطرائق)، تح: عبد السلام محمد الأمين، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 2024م، ج1.

47. محمد الحربي، ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1987.

48. محمد المراكبي، عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة – سلسلة الظاهر والباطن، ط3، (د.ت)، ج3

49. محمد شاكر الجندي، إبراهيم الدسوقي: حياته وتعاليمه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989

50. محمد صبري الدالي، التصوف وأيامه دور المتصوفة في تاريخ مصر الحديث، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2012م

51. محمد علي أبو ريان، (ت. 2008 م)، الحركة الصوفية في الإسلام تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2008

52. محمد فهمي عبد اللطيف، السيد البدوي أو دولة الدراويش في مصر، مطبعة الحرية، القاهرة، 1948.

53. محمد قاسم الشوم، التصوف المفترى عليه، تق: خليل محي الدين الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014م

54. محمد قنديل البقلي، أدب درويش، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1970م

55. محمد ماهر حمادة، دراسة وثيقة للتاريخ الإسلامي ومصادره، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1998م.
56. مصطفى حلمي، ابن تيمية والتصوف، دار ابن الجوزي، ط1، الإسكندرية، 2005.
57. مصطفى حميدو، القصة الكاملة لسيرة عائلتنا الشاملة تاريخ عائلي يمتد لقرون، منشورات خاصة، 2014م

**رابعا: الدوريات**

- **الرسائل الجامعية**

1. سعيد عقيل سراج سعيد، صلة الله بالكون في التصوف الفلسفي دراسة ونقد، ج1، رسالة دكتوراه قسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدنيا، جامعة أم القرى، السعودية، 1414هـ
2. عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عبد الله القرشي ، السماع عند الصوفية :عرض ونقد على ضوء أهل السنة والجماعة ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 1421هـ

- ***المجلات***

1. العنزي جابر سالم، "النشاط الاقتصادي للصوفية في بلاد الهند إبان عصر المماليك (602-689 هـ/ 1206- 1290م)،" المجلة العلمية لكلية الآداب-جامعة أسيوط. المجلد 31، العدد 89، يناير 2024

- ***الموسوعات***

1. جميل مدبك، موسوعة الأديان في العالم "الإسلام"، ترجمة: دار كريبس، طبعة أصلية، 2000

**خامسا: المواقع الإلكترونية**

2. Waqef.com.sa
3. https://www.aljazeera.net/blogs
4. https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=475713

## ملخص الدراسة

تتناول هذه الدراسة الطرق الصوفية في العصر المملوكي وتأثيرها على الحياة الاجتماعية، من خلال استعراض تاريخي موجز للتصوف الإسلامي وتطور طرقه المختلفة. يبدأ البحث بتحديد مفهوم الطرق الصوفية ونشأتها، مرورًا بالمراحل التي مر بها التصوف حتى استقراره في صورة تنظيمات روحية خلال العصر المملوكي. كما تسلط الدراسة الضوء على أبرز الطرق الصوفية التي ظهرت في تلك الفترة مثل الشاذلية، الدسوقية، القادرية، الرفاعية، والأحمدية، موضحة خصائصها وأدوارها في المجتمع. وعليه، يفرد البحث فصلًا خاصًا لتحليل الأدوار الدينية والاجتماعية والسياسية لهذه الطرق، إضافة إلى بيان أثرها في الحياة اليومية، ومدى انعكاسها على البنية الثقافية والدينية في مصر وبلاد الشام. وبالتالي، تخلص الدراسة إلى أن الطرق الصوفية أسهمت بشكل كبير في صياغة الوعي الشعبي ونشر الثقافة الدينية والزهدية.



**الكلمات المفتاحية:** التصوف، الطرق الصوفية، العصر المملوكي، الحياة الاجتماعية، الزهد.



## Abstract

This study explores the Sufi orders during the Mamluk era and their impact on social life, through a brief historical overview of Islamic Sufism and the development of its various orders. The research begins by defining the concept and origins of Sufi orders, tracing the stages through which Sufism evolved until it became established as spiritual organizations during the Mamluk period. The study highlights the most prominent Sufi orders of the time, such as the Shadhiliyya, Dusuqiyya, Qadiriyya, Rifaiyya, and Ahmadiyya, outlining their characteristics and roles in society. Accordingly, a dedicated chapter analyzes the religious, social, and political roles of these orders, along with their influence on daily life and their impact on the cultural and religious fabric of Egypt and the Levant. The study concludes that Sufi orders played a significant role in shaping popular consciousness and in spreading religious and ascetic culture.



**Keywords:** Sufism, Sufi orders, Mamluk era, social life, asceticism.